وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة محمد خيضر -بسكرة-

كلية الآداب و اللغات

قسـم الآداب و اللغة العربية

تمظهر الآخر في رواية " جذور وأجنحة " لـ سليم بتقة

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الآداب و اللغة العربية

تخصص: أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالبة:

نزيهة مزروع

إشراف الدكتور:

جمال مباركي

السنة الجامعيـة:

1436/1435ه

2015/2014م

بسم الله الرحمن الرحيم

"سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا

إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ"

(البقرة 32)

مقدمـــــــة

مقدمـــة:

منذ أن فتح الإنسان العربي عينيه بدأ يؤرقه سؤال الهوية، نتيجة احتكاكه بالآخر الذي تفوق حضاريا، و أصبح يهدد وجوده، حينما زحف إلى الشرق، غازيا ومستعمرا لأن الإنسان لا يدرك أهمية هويته، إلا في صراعه مع الآخر المختلف عنه الذي يحاول المساس بمقوماتنا الأصيلة، فيحس العربي ، بضرورة الحفاظ عليها، و كلما اشتدت المواجهة زاد المرء تمسكا بهويته و مكوناتها.

و لهذا أخذ موضوع الأنا و الآخر، أهمية كبيرة في الدراسات الفكرية و النقدية و في كل العلوم الإنسانية، و ذلك لأن الأنا لا تكون إلا بوجود الآخر.

و من هنا تأتي أهمية دراسة الأنا في مواجهة الآخر في الرواية العربية لتقتحم المخبوء في تصور الذات عن الآخر أو العكس.

وقد عالجت الرواية الجزائرية موضوع الأنا و الآخر في محاولة لتجسيد الرغبة في فهم الآخر، الذي بدا في هيئة العدو المستعمر، و المحاور السلمي.

و لهذا جاءت هذه الدراسة لتعالج تنوع العلاقة بين الشرق و الغرب كما اعتنت بتناول الآخر من خلال تشابكات علاقاته بالأنا.

ومن هنا كان وقوفنا عند مدونة روائية جزائرية معاصرة متمثلة في رواية «حذور و أجنحة» لسليم بتقة التي عالجت هي بدورها تجليات و تمظهرات الآخر و علاقته بالأنا.

و كان سبب اختيارنا لهذا الموضوع نابعا من رغبتنا في التعرف و الكشف عن علاقة الأنا بالآخر في الأدب الجزائري، سواء أكان مكتوبا بالعربية أم بالفرنسية الذي يعد جزءا من هويتنا.

و لقد أثارت هذه الدراسة عدة تساؤلات، سيجتهد هذا البحث في الاجابة عنها وقد تلخصت في جملة من الأسئلة هي:

- ما دلالة مصطلحي الأنا و الآخر هل هما كيانان متفقان و مختلفان؟
- وما مفهومهما في الفلسفة و علم النفس و الأدب؟
- ثم ما تصور الروائيين الجزائريين لعلاقة الأنا بالآخر؟
- وما تجليات و تمظهرات الآخر في رواية جذور و أجنحة؟

أما المنهج المتبع في هذا البحث فهو المنهج التاريخي استخدمناه في تتبع تطور الرواية الجزائرية في تعاملها مع الآخر، و المنهج الوصفي، باعتباره الأنسب في التعامل مع هذا النوع من الدراسات التي تصف أفعال ألآخر وردة الفعل للأنا معتمدين آلية التحليل في ذلك.

و قد جاءت خطة البحث في هيكل مرسوم يتكون من مدخل و فصلين مع مقدمة و خاتمة.

المدخل معنون بالأنا و الاخر فضاء المفهوم، حيث سلط الضوء على تحديد وضبط مفهوم الأنا و الآخر، و إضاءات حول ثنائية الأنا و الآخر في الفلسفة و علم النفس و الأدب، و الأنا و الآخر في الرواية العربية (نماذج روائية).

وارتأينا أن نجعل عنوان الفصل الأول : « التجربة الجزائرية الروائية و ثنائية الأنا و الآخر» و يتضمن عنصرين الأول: في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، أما العنصر الثاني فعالج الأنا و الآخر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية.

أما الفصل الثاني الذي عنون بـ: «تمظهر الآخر في رواية جذور و أجنحة لسليم بتقة» فيدرس أربع عناوين فرعية:

- الآخر المستعمر.
- الآخر المتحضر.
- الآخر المسالم (المحاور).
- الأنا (التماهي).

و من أبرز المراجع التي استقينا منها مادة الموضوع كتاب إشكالية الأنا و الآخر بقلم ماجدة حمود و صورة الفرنسي في الرواية المغربية لعبدالمجيد حنون، و أوراق بحثية في النقد و الأدب لسليم بتقة.

وقد واجهتنا بعض الصعوبات في إنجاز هذا البحث منها:

كثرة المادة العلمية وصعوبة الانتقاء منها.

و لا يفوتنا في هذا المقام أن نتوجه بجزيل الشكر للأستاذ الفاضل المشرف الدكتور «جمال مباركي» الذي لم يبخل هذا البحث بتوجيهاته و نصائحه القيمة.

كما أتقدم بالشكر الخالص للدكتور الفاضل «سليم بتقة» الذي قدم لي يد العون في إنجاز هذا البحث منذ أن كان فكرة إلى أن أصبح عملا مجسدا، وواقعا ملموسا.

و إلى كل أساتذة و إداريي جامعة محمد خيضر بسكرة.

وفي الأخير فإن أخطأت فمن نفسي و إن أصبت فمن الله عزوجل.

مدخـــل:

الأنا و الآخر - فضاء المفهوم

1- الأنا و الآخر لغة واصطلاحا:

- الأنا لغـــــة
- الأنا اصطلاحا
- الآخر لغة
- الآخر اصطلاحا

2- الأنا و الآخر في الفلسفة و علم النفس و الأدب:

- في الفلسفة
- في علم النفس
- في الأدب

3- الأنا و الآخر في الرواية العربية (نماذج روائية)

تمهيد:

من العبارات التي أصبحت أكثر تداولا في عصرنا الراهن ثنائية **الأنا** و **الآخر** التي تعد من أهم القضايا الكبرى التي شغلت بال النقاد و الدارسين في الدراسات الحديثة و المعاصرة، هذه الثنائية التي نلمسها في متون الروايات العربية.

وبين **الأنا** و **الآخر** علاقة جدلية لا ينبغي إلغاؤها أو تجاهلها و السكوت عنها؛ لأن علاقة كل منهما من طبيعة الحياة، فكل واحد منهما لا يكون إلا بوجود **الآخر** وفهمه ووعيه و الاعتراف به، وهذه الثنائيات الموجودة في الطبيعة و الكون كالظواهر الطبيعية (البرد و الحر و الظلمة و النور...)، و جدلها (النسبي و المتحول و الثابت و المطلق)، و أيضا مفاهيم وقيم المجتمعات مثل: الخير و الصدق و الكذب(...) وهذا كله يشبه بصورة ما علاقة **الأنا بالآخر**.[1]

و هذا يبين لنا أن علاقة **الأنا بالآخر** من الصعب الفصل بينهما، ذاك أنهما دائرتان متداخلتان يساهمان في تكوين بعضهما بعضا؛ فلا تكون الذات إلا بوجود الآخر.

و في جميع الحالات ؛ "فإنه لا **آخر** بدون **الأنا**، و يقول بعض فلاسفة علماء الاجتماع إن رفض الآخر يتأتى من الجهل به بالدرجة الأولى، و يرى حسن حنفي أن الأنا هي مرجع تاريخي للآخر، كما يرى غيره أن العلاقة بين الأنا و الآخر تقوم على قاعدة الحركة و الصراع".[2]

---

[1] ينظر: حسين العويدات: الآخر في الثقافة العربية من القرن السادس حتى القرن العشرين، دار الساقي، بيروت، ط1، 2010، ص19.

[2] المرجع نفسه، ص20.

إذن لا يمكن فهم الذات إلا من خلال الآخر ، ووجوب الاعتراف بوجود علاقة تلازمية و جدلية بينهما.

و الواقع إن القول بالأنا يفترض دائما وجود الآخر، و العكس صحيح؛ معناه أنه لا يمكن أن "نتصور الأنا دون الآخر تصورا غير منطقي، ولا واقعي، و ينسحب الحديث على الأنا الثقافي بأبعاده المختلفة، و الآخر دائما هو الدخيل و الأجنبي و المخالف، وهو آخر بالنسبة لي ، كما أني آخر بالنسبة له".[1]

ومما لا شك فيه أن الآخر هو غير الذات (الأنا)، وهو المختلف عرقيا و دينيا وفي كل شيء، "أنت و أنا ، طرفان مختلفان، أنا لم أكن أنت و لن أكون، و أنت كذلك لم تكن أنا ولن تكون، فأنت بالنسبة لي تعد الآخر فردا وتنظيما ودولة أو أي طرف من أطراف الاختلاف، وهكذا تكون الأنا هي الآخر بالنسبة لأنت."[2]

و ثنائية الأنا و الآخر تناولها علم قائم بذاته وهو علم "الصورلوجيا Imogologiie" الذي يعني دراسة الصورة الأدبية وهو أحد فروع الأدب المقارن، وقد بدأ الاهتمام به في العقود الأخيرة.

و يمكننا أن نعد الصورة جزءا من التاريخ بالمعنى الوقائعي و السياسي؛ أي جزءا من الخيال الاجتماعي، و الفضاء الثقافي أو الإيديولوجي الذي تقع ضمنه، إذ كل صورة لابد أن تنشأ عن وعي، مهما كان صغيرا بالأنا مقابل الآخر "وهي تعبير أدبي مستمد من نظامين ثقافيين ينتميان إلى مكانين مختلفين المكان الذي نشأت فيه

---

(1) أحمد عبد الحليم عطية: جدل الأنا و الآخر قراءة نقدية في فكر حسن حنفي، مكتبة مدبولي الصغير، الحوامدية، القاهرة، ط1، 1997، ص212.

(2) عقيل حسين عقيل: منطق الحوار بين الأنا و الآخر، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2003، ص49.

الصورة؛ أي البلد الناظر، و المكان الذي تقدمه الصورة؛ أي البلد المنظور إليه و كثيرا ما نجد دلالة توحي بالتباعد بين الأنا و الآخر فتؤسس سوء الفهم ".[1]

ومن خلال هذا ندرك أن علم الصورلوجيا لا يوجد في الأدب فقط، بل هو أيضا ضمن العلوم الإنسانية، كعلم الاجتماع و الانثربولوجيا، و التاريخ وغيرها، إذ تصبح الصورة من معالم الكشف عن المتخيل الاجتماعي و الثقافي.

و نستشف أن ثمة مشاكل سياسية واقتصادية وثقافية تمارس قهرا على الذات و بهذا تجعلها لا تتفاعل مع الآخر ، و يصبح بالنسبة لها مدمرا لكينونتها وبالتالي تقوم بإقصائه، ومن هنا يحدث التباعد و التنافر و يبدأ الصراع بينهما، "و الصورة فعل ثقافي، يقدم تفاعل الأنا مع الآخر، فتتعايش تفاصيل الحياة الاجتماعية و الفكرية و الروحية بكل صدقها و عفويتها(...)".[2]

و الحق أن لدراسة الصورة أهمية كبيرة فهي تقوم على كشف ماهية الشعوب من خلال سلوكاتهم ايجابيات و سلبيات سواء أكان ذلك في العادات و التقاليد أم حتى في الدين و الثقافة فالصورة تبرز تفاعل الأنا مع الآخر ونقاط اختلافهما.

فما المقصود بالأنا و الآخر في اللغة و الاصطلاح و في الأدبيات العربية و الغربية؟

---

[1] ماجدة حمود : صورة الآخر في التراث العربي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص09، 10.

[2] ماجدة حمود: صورة الآخر في ألف ليلة و ليلة، مجلة دمشق، قسم اللغة العربية كلية الآداب و العلوم الإنسانية، المجلد 27- العدد1+2، 2011، ص107.

1-الأنا و الآخر لغة و اصطلاحا:

الأنا لغة: وردت الأنا في معجم محيط المحيط بمعنى: " ضمير رفع منفصل للمتكلم مذكرا و مؤنثا مثنّاه و جمعه نحن، الأنانة قولك أنا".[1]

وقد وردت في منجد اللغة العربية" الأنا : ضمير رفع منفصل للمتكلم:«أنا قلت ذلك »

ضمير المتكلم ويراد به عند الفلاسفة العرب الإشارة إلى النفس المدركة."[2]

الأنا اصطلاحا:

و جاءت عدة تعريفات للأنا منها الأنا : " ضمير المتكلم الواحد وهو تعبير عن النفس الواعية لذاتها، و الأنا هي الذات التي ترد إليها أفعال الشعور جميعها وجدانية أكانت أم عقلية أم إرادية، وهو دائما واحد ومطابق لنفسه، وليس من اليسير فصله عن أغراضه، و يقابل الآخر و العالم الخارجي، ويحاول فرض نفسه على الآخرين". [3]

وهناك تعريف آخر "الأنا شعور بالوجود الذاتي المستمر، و المتطور(...) أما فنيا فهو شعور يبرز الذات بشكل طاغ بحيث ينشط الفنان ضمن دائرة لا تتعدى حدوده الشخصية". [4]

---

(1) بطرس البستاني: محيط المحيط، مكتبة لبنان ، بيروت،[ط.ج]، 1987، ص18.

(2) صبحي حموي: المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت، ط2، 2001، ص45.

(3) مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، ط5، 2007، ص95.

(4) محمد بوزواوي: قاموس مصطلحات الأدب، دار مدني،[د.ط]، 2003، ص43.

ومن خلال هذين التعريفين ندرك أن الأنا مرادفة للنفس والذات، "وهذه الذات التي أحيانا مرادفة للشخصية، و تستخدم بديلا عنها، أو تستعمل للتفريد المشخص إنما هي مركب متفاعل من عناصر مادية و معنوية ونفسية وروحية لا حصر لها".[1]

إذن الأنا تعني الشخصية بكل مكوناتها و "الأنا مكون للآخر ، و الأنا متداعية في نزعتها الفردية، و قوية متماسكة بحضورها القوي، و انفتاحها على الآخر، و في ذلك تضمحل هذه النزعة؛ بشكل أو بآخر، و الآخر متداع متهالك في نزعته الفردية المنعزلة، و المتفاعل في كيمياء علاقته بالأنا، لأنه جزء من الأنا المجموعة، أو الأنا المعبر عن الكل في صيغة الأنوات، هنا يبدو الأنا متفاعلا مع غيره من الضمائر الأخرى، غير مستغن عنها يحتاجها و تحتاجه، و هي غير حاضرة إلا بحضوره."[2]

ومن هذه الجمل السابقة نفهم أن الأنا مكون للآخر؛ إنه لا معنى للأنا إلا بارتباطها مع الآخر الذي يكملها، " إن الآخر حتمي للذات كما هي حتمية له، الأنا لا يستطيع أن يعيش إلا في علاقته بقطب الآخر."[3]

و يبدو من هذا أن الأنا ليست لها القدرة على العيش من دون الآخر، فأنا آخر حسب رأي **تيزفيتان تودوروف (Todorov tzveton)** و " بوسع المرء اكتشاف الآخرين في ذاته، أنه ليس جوهرا متجانسا و غريبا بشكل جذري كل ما ليس هو: فأنا آخر" لكن الآخرين أيضا أنوات: إنهم ذوات، شأنهم في ذلك شأني، لا تفصلهم ولا

---

[1] رولوماي: البحث عن الذات دراسة نفسية تحليلية، تر: عبد العلي الجسماني، دار فارس، عمان، ط1، 1993، ص08.

[2] أحمد ياسين السليماني: التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر، دار الزمان، دمشق، ط1، 2009، ص107، 108.

[3] فاضل أحمد القعود: جدلية الذات و الآخر في الشعر الأموي دراسة نصية، دار غيداء، عمان، ط1، 2012، ص33.

تميزهم بشكل حقيقي عن نفسي في وجهة – نظري– و التي بموجبها يعتبرون كلهم بعيدين، بينما أكون أنا وحدي هنا، (...)."[1]

ومن هنا يمكن القول إن الآخر لا يختلف عن الذات إلا من خلال وجهة نظر كلاهما، كما يرى تودوروف، لكن لطالما شكل الأنا و الآخر ثنائية قائمة على التضاد و التجاوز.

ذلك أن علاقة **الأنا و الآخر** في مفهوم الهوية تخلق نمطا من الإقصاء و الرفض و اعتماد الهوية بوصفها مفهوما وفكرا مهيمنا: "فلكل بلد هوياته و خصوصياته المحلية المتمثلة في الإرث الاجتماعي و الفني و الديني (...)، وكل طرف ينظر إلى الآخر على أنه النقيض له، يسعى إلى السيطرة عليه و استغلاله بمختلف الوسائل، اقتصاديا و ثقافيا قصد الاستفادة منه. "[2]

و يمكن القول بأن علاقة الأنا و الآخر في عصرنا الراهن؛ إنها علاقات تحكمها القوة و الاستغلال وفرض السيطرة و الهيمنة.

الآخـــر لغة:

ورد في لسان العرب أنه "اسم على أفعل، و الأنثى أخرى، إلا أن فيه معنى الصفة؛ لأن أفعل من كذا لا يكون إلا في الصفة، و التصغير آخر أويخر، و الآخر أيضا؛ بمعنى غير، كقولك رجل آخر وثوب آخر، و الجمع بالواو و النون أخريات و آخرون، و يقال أبعد الله الآخر."[3]

---

(1) تيزفيتان تودوروف: فتح أمريكا مسألة الآخر، تر: بشير السباعي، سينة للنشر، القاهرة، ط1، 1992، ص09.

(2) عزيز الورتاني: الموسيقى العربية بين مفهوم الهوية و اللهجة الموسيقية، مجلة الحياة الثقافية تصدر عن وزارة الثقافة، تونس، العدد 249، 2014، ص101.

(3) ابن منظور: لسان العرب، المجلد الرابع، مادة (آخر)، دار الصادر، بيروت، ط1، 1990، ص13.

و هناك تعريف يرى أن "الآخر: خلاف الأول، وهي بهاء، و الغائب بالأخير و بفتح الخاء: بمعنى غير."[1]

ومن خلال هذه التعاريف اللغوية السالفة الذكر، نستنتج أن الآخر هو المعارض و المخالف للذات؛ أي غيرها.

الآخر اصطلاحا:

الآخر هو كل من هو غيري أنا و خارج الذات المدركة، أو مستقل عنها **الآخر** هو " الكائن المختلف عن الذات، وهو مفهوم نسبي و متحرك، ذلك أن الآخر لا يتحدد إلا بالقياس إلى نقطة مركزية هي الذات، و هذه النقطة ليست ثابتة، بصورة مطلقة؛ فقد يتحدد الآخر إلي كفرد، أو إلى جماعة معينة قد تكون داخلية كالنساء بالقياس إلى الرجال، و الفقراء بالقياس إلى الأغنياء، أو خارجية بالقياس إلى مجتمع بصورة أعم."[2]

و يتضح لنا من هذا القول إن هناك صعوبة في تحديد من نقول عنهم آخر كالبيض بالقياس إلى السود الذين يعيشون في مجتمع عنصري أبيض يتصرفون معهم على أنهم آخر، لكن في مجتمع متسامح لا يرون اللون سببا ليكون الأسود آخر، و ذلك يرجع إلى أن لكل مجتمع قوانينه و رؤيته الخاصة به.

---

[1] الفيروز أبادي الشرازي، المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1999، ص05.

[2] نادر كاظم: تمثيلات الآخر صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ط1، 2004، ص20.

و في تعريف آخر وردت لفظة (الآخر) بمعنى: "الآخر هو الذي يخالف الذات و العقيدة، يظهر الآخر كالمستعمر للأنا، و العلاقة معه محكومة بالتصادم والمواجهة."[1]

و هنا يتضح أن جل الدراسات تتفق من حيث المفهوم على أن (الآخر) هو الغير المخالف عقيدة و هوية.

أما **الآخر** بالنسبة للعربي، "في وعي المثقف العربي، في الغالب الأعم الشخص الآخر الغربي المتقدم عنه، وهو المؤثر في شأنه، و الأمم الأخرى هي أمم الحضارة الغربية المتقدمة عن أمته و المؤثرة في شأنها".[2]

و يقصد هنا **بالآخر** الغربي الذي يؤثر فينا؛ بسبب ما يقدمه من انجازات في كل ميادين الحياة، وخاصة ميدان التكنولوجيا التي يقف العربي منبهرا أمامها.

إذا ما تأملنا موضوع **الأنا و لآخر**؛ فإننا نجده ليس مطروحا في الأدب فقط بل هناك علوم إنسانية أخرى أرادت أن يكون لها نصيب وافر، لدراسة هذين المصطلحين، و من بين هذه العلوم الفلسفة و علم النفس.

---

[1] بوشعيب الساوري: تمثيلات الهوية و الآخر قراءة في ثلاثية نصوص روائية، قراءات مغربية (الهوية و التخييل) في الرواية الجزائرية، رابطة أهل العلم، ط1، 2008، ص52.

[2] صادق جواد سليمان: المثقف العربي و إشكالية الأنا و الآخر، مجلة أخبار عدن، مركز الحوار العربي بواشنطن، العدد الثالث عشر، الاثنين 23 نوفمبر، ص06.

2- الأنا و الآخر في الفلسفة و علم النفس و الأدب:

الأنا في الفلسفة:

تطلق على الذات المفكرة العارفة لنفسها في مقابل الموضوعات التي تتميز عنها فهي الوعي الذي تملكه الذات عن فرديتها المتميزة عن أشياء ذات الوجود الخارجي المادي الموضوعي.

و نجد أنفسنا- ونحن تقارب مفهوم الأنا – أمام تساؤل ملح" عندما أقول «أنا» فهل أقصد ذاتي الحاضرة الآن و هنا؟ أم أقصد ذلك الطفل الذي كان و المراهق الذي كان و الشاب الذي كان، و من ثمة الكهل الذي هو الان و العجوز الذي قد يكون؟ هل أقصد أحد هؤلاء جميعا الذين شكلوا سلسلة متصلة الحلقات قد تكون في مجموعها هذه الذات الحاضرة التي نسميها «أنا» ."[1]

فالذات هي الشخص نفسه، و هي بالمنظور الفلسفي جوهر قائم بذاته، ثابت لا يتغير على الرغم مما يلحقه من الأعراض مثل: (الصحة و المرض و الصبا و الهرم...)، و يصدق اللفظ أيضا على الماهية Essence* التي يراد بها حقيقة الشيء أو الموضوع.

---

[1] تركي الحمد: الثقافة العربية في عصر العولمة، دار الساقي، بيروت، ط1، 1991، ص193.

* الماهية: من الأمر أو الشيء أو الانسان: حقيقته و طبيعته وا يقوم به من صفات؛أي كلما يكون به الشيء وهو إياه وهي في هذا السياق ما يجعل الانسان انسانا، إذ ما يتميز به عن سائر المخلوقات في التفكير مثلا: جبران مسعود: الرائد معجم ألفبائي في اللغة و الاعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 2005، ص17.

و الأنا في الفلسفة هي المتكلم نفسه " الأنا رؤية الذات و معرفتها و إدراكها."[1]

إذن الأنا في الفكر الفلسفي تمثل الذات العارفة؛ بشؤون نفسها، و التي تفهم ما يدور حولها من أشياء في الكون؛ أي في المحيط الخارجي.

الأنا في علم النفس:

و المتأمل في كلام سيغموند فرويدSigmund Freud (1856-1939)

يفهم؛ بأن الأنا هي "قوة وليدة الصراع القائم بين سلطة العالمين الخارجي و الداخلي في وقت احتدم فيه الصراع بين قوى الشخصية الثلاث، و دوافعها الغريزية و بين الظروف التي تستثيرها في العالم الخارجي، فجاءت هذه الأنا تلبية لحاجات النفس البشرية للتوازن النفسي و الاجتماعي الذي يستدعيه مبدأ الواقع و العقل."[2]

و نخلص من هذا أن الأنا نشأت في ظرف مملوء و مشحون بالتوتر والصراع بين هذه القوى النفس،و المحيط الخارجي، و من هنا فمهمة الأنا هي التدخل في المشاكل النفسية،و الاجتماعية، و زرع التوازن،و التفاهم بينهما.

الأنا في الأدب:

الأنا مؤسسة قائمة بذاتها يقف عند عتباتها الكاتب وقفة الطفل الذي ينطق باسمه حين يتكلم عن ذاته، و من هنا نجد الأديب قد يلجأ أحيانا إلى الاختباء وراء ضمير الغائب؛ فيخرج المبدع من دائرته الذاتية المغلقة، و تغييب هذا الضمير يسمح

---

[1] عباس يوسف الحداد: الأنا في الشعر الصوفي ابن الفارض انموذجا، درا الحوار، اللاذقية، سوريا، ط2، 2009، ص189.

[2] سهاد توفيق الرياحي: ظاهرة الأنا في شعر المتنبي و أبي العلاء دراسة موازنة نقدية ، دار جليس الزمان، عمان، ط1، 2012، ص15، 16.

للكاتب بمخاطبة نفسه بحرية، ولكن من وراء القناع هو الآخر الذي يتواصل معه من هنا " فليس ضمير الغائب المفرد خديعة من خداع الأدب ، بل هو فعل مؤسسة متقدم على كل ما عداه : أن يكتب الإنسان بمعنى أن يقول «هو» ، وهذا يفيد أن الكاتب حين يقول «الأنا» لن تكون لهذا الضمير أية بالرمز الإشاري؛ إنه علامة نظمت رموزها بدقة وهذه «الأنا» ليست إلا «هو» من الدرجة الثانية أو «هو» مستعاد و محول."[1]

إذن تكرار لفظة الأنا «الأنا» في العمل الأدبي تحمل أكثر من دلالة إثبات للذات و نفي للآخر و توقيع لنزعة إيجابية «الأنا» مقابل سلبية «الآخر» "وهي عندما تتصدر الكلام (...)، تكون بؤرة تشع منها إرادة فردانية و رغبة بالكمال مثل الأنا في شعر عنترة بن شداد و أبي الطيب المتنبي، وهناك تلازمها هي العزلة والوحدة."[2]

و نخلص في الأخير بأنه لا معنى لوجود الأنا بدون الآخر، فهما مرتبطان ببعضهما ارتباطا قويا، فلا ذات لوحدها ولا آخر بدونها؛ لأنه محاط بها.

الآخر في الفلسفة:

هو **الآخر** الذي لا يشارك الذات أحوالها من انتماء عرقي و حضاري وثقافي وعلى هذا يتحدد الغير في جميع الأحوال بالسلب.

فالآخر عند «**هيدجر، Higer**» "مرتبط بالسقوط، فهذا الآخر قد رمى به في هذا العالم غير أنه لا يملك سوى التسليم، وهذا السقوط هو الذي حقق ذاتية الأنا من

---

(1) رولان بارث: النقد البنيوي للحكاية، تر : أنطوان أبو زيد، منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1988، ص19.

(2) صالح زامل: تحول المثال دراسة لظاهرة الاغتراب في شعر المتنبي ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ط1، 2003، ص40.

خلال تماسه مع الآخر، فحسب «هيدجر» أن يغيره الآخر ما كان يمكن وجودي أن يكتشف، ولولاه لظل وجودى في إمكانات الوجود لا نهاية لها؛ أي أن سقوطي هو الذي حددني و بتحديدي تحقق وجودي العيني (...)."[1]

و يمكن القول إن الأنا لا يكون ولا يتحدد إلا بوجود الآخر.

الآخر في علم النفس:

لقد عالجت الدرسات النفسية إلى جانب الدراسات الفلسفية الجدل القائم بين «**الأنا**» و «**الآخر**» ، وذلك عن طريق الجهاز النفسي المتمثل في «الأنا» «الأنا الأعلى» ، «الهو» أين يسعى «الأنا» للانتماء إلى «الأنا الأعلى» و الانضواء تحت سلطته حتى لا يخلق نشازا و اضطرابا في شخصية الفرد، فتبدو غير سوية.

إذن «الأنا الأعلى» يمثل الآخر بالمنظورين الاجتماعي و النفسي، ومن ثمة فإن الصراع الذي ينشب بين «الأنا» و «الأنا المثالي» ؛ إنما يعكس في نهاية الأمر الخلاف بين ما هو واقعي وما هو نفسي؛ أي بين العالم الخارجي و الداخلي ومن هنا؛ فإن الصراع الحاصل بين وعي «الأنا» ووعي «الآخر» يؤدي إلى نتيجة مفادها أن كل وعي بالأنا يحتاج إلى اعتراف، وترسيم من قبل الآخر ،على أنه حرية، وهنا عليه أن يتصارع مع هذا الوعي، و أن يضع حياته في خطر لكي يتصارع مع هذا الوعي و أن يضع حياته في خطر يؤكد حريته، عليه أن يقوم بذلك

[1] عبد الرحمان بدوي: دراسات في الفلسفة الوجودية، دار النهضة المصرية، القاهرة، ط2، 1966، ص85.

الصراع دون أن يؤدي هذا الأمر إلى موت أحدهما؛ لأن القضاء نهائيا على أحد طرفي النزاع ينهي الجدل ".[1]

وهذا الجدل الذي يعرف في الفلسفة بعلاقة «السيد و العبد» يثبت أن لا وجود للأنا بدون الآخر .

الآخر في الأدب:

إن النظر إلى الآخر سواء أكان في وجوده الموضوعي أم في إدراكه المتخيل تمنح لصيرورة الوعي الإسلامي بالذات أبعادا متراكبة، فعلى الرغم من الشعور البارز بالتفوق الديني و الحضاري، و الإقرار بالمساواة بين الكائنات البشرية؛ فإن منطق الانتشار و الفتح واقع الاحتكاك بالآخرين جعل المثقف المسلم يضفي بعض النسبية على أحكامه فتاكيد الجاحظ مثلا: على حكمة اليونان وحذاقة الصين و الخبرة السياسية للفرس، يبين مدى استعداد الوعي العربي الإسلامي على الاعتراف بقدرات الآخرين و على التسليم باختلافاتهم مهما كانت الفروق الدينية و الحضارية (...).[2]

و نستخلص مما سبق أن **الآخر** لدى العربي المسلم هو المتفوق في علوم الدنيا في حين أن العربي متفوق في علوم الديني على الرغم من كل هذا؛ فإن العربي دائما يعترف بجهود الآخر، لكن الآخر عكس ذلك.

ولا يخفى على بال أحد أن قضية **الأنا و الاخر** أو الشرق و الغرب من القضايا الكبرى التي طرحت في الأعمال الروائية؛ بحيث يعالج الروائي قضايا الاستعمار و الهيمنـــة و السيطـــرة و الاستغلال و أيضـــا الانبهـــار بالغرب أو نبـــذه، " حيـــن

---

[1] سعاد حرب: الأنا و الآخر و الجماعة دراسة فلسفة سارتر و مسرحه، دار المنتخب العربي للدراسات و النشر، بيروت، ط1، 1994، ص07.

[2] ينظر: إياد عماوي: الأنا و الآخر و دورهما في رسم وتحديد العلاقة بين الوطن العربي و الغرب، خاص بموقع المنشاوي للدراسات و البحوث، ص57، 58.

وصل الغرب غازيا و مبشرا دينيا و مستعمرا(...)."[1] و أيضا الصراع الحضاري و الثقافي بين الشرق و الغرب، و من خلال الآخر تكتشف الأنا هويتها.

3-الأنا و الآخر في الرواية العربية (نماذج روائية):

ومن بين أهم الروايات العربية التي تناولت موضوع **الأنا و الآخر** الرواية المصرية و أخص بالذكر رواية «**عصفور من الشرق**» **1934** لتوفيق الحكيم، تدور أحداث هذه الرواية في مدينة باريس، وتحكي قصة حب فاشلة بين مثقف عربي طالب للعلوم الغربية هناك، وفتاة فرنسية كانت نهايتها الفشل الذي يرجع إلى تباين عقليتين و حضارتين، ويظهر توفيق الحكيم في شخصية بطل الرواية «محسن» الوافد من الشرق ؛ بأنه ذو أخلاق حميدة وملامح إنسانية و رومنسية وطيبة في مقابل شخصية «سوزي» البرغماتية التي تريد مصلحتها فقط؛ فهي لا تؤمن و لا تعترف بالمشاعر و الحب و الأحلام ولا تبالي بها وكل همها هو المال، فالرجل بالنسبة لها ما يقدم من عطور وهدايا و ملابس.

و يقول الحكيم عن الأمريكان : "يخيل إلي يا أندريه أن هؤلاء الأمريكان قوم خلقوا من الاسمنت المسلح، لا روح فيهم ولا ذوق، ولا ماضي! إذا فتحت صدر الواحد نهم وجدت في موضع القلب «دولارا»... إنهم ليأتون إلى هذا العالم القديم، حاسبين أنهم بالذهب يستطيعون أن يشتروا لأنفسهم ذوقا و لبلادهم ماضيا! (...)."[2]

بعد خروج أوروبا من الحرب مجروحة الروح، فقد الفرد الأوروبي جانبه الروحي فأصبح الناس لا يعطون أهمية للمشاعر بل تقديس المادة، ثم إن التطور التكنولوجي و النهضة الصناعية دمرت روح الإنسان، و جعلته جسد بلا روح وهذا ما

---

[1] نجم عبد الله كاظم: الرواية العربية المعاصرة و الآخر دراسة أدبية مقارنة، دار الكتاب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2007، ص63.

[2] توفيق الحكيم: عصفور من الشرق، الأعمال الكاملة، دار الشرق، القاهرة، 2004، ص16.

حدث مع «سوزي» الفتاة الفرنسية فكانت علاقتها مع « محسن» متدهورة من بدايتها بسبب الاختلاف بينهما، وفي هذه الرواية كانت الغلبة لصالح الشرق، إذ "أدرك الحكيم أن ثمة هوة شاسعة تفصل بينه و بين الثقافة الأوروبية بكل أبعادها القائمة على روح المنفعة و الأنانية."[1]

و تنتهي رواية عصفور من الشرق ؛ بفشل الحب الذي جمع بين سوزي ديبون و محسن عقب اكتشاف محسن لحبيب سوزي الآخر (هنري)، "و لا يجد محسن سوى صديقه الروسي (إيفان) يبثه شكواه، و ينهال الاثنان نقدا على الحضارة الغربية و الماركسية.. و تنتهي الرواية بتفضيل الحياة الشرقية على الغربية من قبل محسن و صديقه الروسي الذي يموت متأثرا بمرض السل وفي خاطره أمنية لزيارة الشرق...."[2]

و تأتي رواية «**الحي اللاتيني**» 1953 لسهيل إدريس، و هي من أشهر الروايات التي تناولت الفرق الحضاري بين الشرق (**الأنا**) و الغرب (**الآخر**) و العلاقة بينهما، من خلال الصراع بين «الأم» و العشيقة الغربية، وهو الصراع بين الخضوع للتقاليد المتوارثة، و حرية الانفتاح على الغرب، و يرى سهيل إدريس أن قضية المرأة الغربية التي تستولي على قلب و عقل الشباب، تقول إحدى شخصيات الرواية:" ألا تعتقدوا أن كثيرين من شبابنا العربي هنا، وفي الوطن محرومون من استغلال أسمى إمكانياتهم؛ لأن حاجاتهم في الحب و الجنس غير مكتفية."[3]

---

(1) عبد السلام الشاذلي: شخصية المثقف في الرواية الحديثة، دار الحديث، بيروت، ط1، 1985، ص279.

(2) سالم المعوش: صورة الغرب في الرواية العربية، مؤسسة الرحاب الحديثة، ط1، 1998، ص353، 354.

(3) سهيل إدريس : الحي اللاتيني ، دار الآداب، بيروت، ط12، 2002، ص132، 133.

و نستشف من هذا أن (الأنا) العربي يبحث عن امرأة مثقفة وفاتنة " أصبحت المرأة الغربية تملك زمام جسدها وحريتها و تتمتع بحس ثقافي وفني رفيع، و بالمقابل مازالت المرأة الشرقية ترزخ تحت التقاليد و تتخوف من شبح الرجل".[1]

و من الروايات السودانية التي تعد واحدة من أبرز الروايات العربية التي تناولت قضية الأنا و الآخر رواية «**موسم الهجرة إلى الشمال**» 1966 للطيب صالح التي تعبر عن الآثار التي تركها الاستعمار على نفسيات الشعوب المستعمرة وخاصة على المثقفين في وقت الاستعمار و حتى بعده.

و تبدأ رواية موسم الهجرة إلى الشمال بعودة الراوي من إنجلترا بعد غربة جسدية دامت سبعة سنوات إلى قريته عند النيل في السودان، و أول ما لفت نظره بعد عودته تلك النخلة القائمة في فناء داره؛ فرأى على أنها ثابتة على الأرض بعد سنين طويلة مرت عليها؛ فأدرك أن الإنسان امتداد و أعماق و أصول و تاريخ يقول: "نظرت خلال النافذة إلى النخلة القائمة في فناء دارنا، فعلمت أن الحياة لا تزال بخير أنظر إلى جذعها القوي المعتدل، و إلى عروقها الضاربة في الأرض، وإلى الجريد الأخضر المنهدل فوق هاماتها، فأحس بالطمأنينة، أحس أنني لست ريشة في مهب الريح، و لكنني مثل تلك النخلة، مخلوق له أصل له جذور له هدف."[2]

و مصطفى سعيد بطل الرواية ولد إبان الاستعمار الذي غزى قريته، مما جعله يكن له الحقد" كان مشحونا من الداخل ضد أوروبا، و ضد التشويه الإنساني الذي حملته إلى إفريقيا و الإفريقيين، وهو خريج مدرسة الاستعمار، أدخلوه ليعلموه كيف يقول (نعم) بلغتهم، فاغتنم الفرصة، و تعلم أيضا أن يقول (لا)، و لكن مأساته

---

(1) محمد الداهي: صورة الأنا و الآخر في السرد، رؤية للنشر و التوزيع، القاهرة، ط1، 2013، ص99.

(2) الطيب الصالح: موسم الهجرة إلى الشمال، دار العين للنشر، القاهرة، 2004، ص06.

و مهزلته، حدود خيانته ووطنيته معا؛ إنه عندما نطق بـ(لا) تلك نطق بلغتهم أيضا".[1]

و يقول مصطفى: " أنا جنوب يحن إلى الشمال و الصقيع ".[2]

و يتضمن هذا القول بأن هناك حنينا فيه حقد وكره بقدر ما فيه من حب إذ تبدو هذه الشخصية موقفها معقد اتجاه الغرب؛ إنه غزو " يندمج فيه الهيام و الإعجاب بالحقد و الانتقام، حيث يمثل البطل الضحية و السفاح و العاشق".[3]

فهو منتقم للشرق من الغرب في نسائه، فتلك العلاقات مجرد علاقات عابرة ليس حبا روحيا حقيقيا، و هو أيضا بالنسبة إليهن حيوان إفريقي تلهو به و أيضا من أجل ماله، و بهذا لا تنجح هذه العلاقات؛ لأنها لا تقوم على المساواة و التوازن و الاحترام المتبادل.

و قد جاءت الرواية السودانية لتكشف أثر الغرب في حياة السودانيين، بحيث تصور رواية «النبع المر» لأبي بكر خالد الجوانب السلبية للغرب، حيث نجده "يصف الأوضاع السائدة في سنوات الحكم العسكري من تسلط الشركات الأجنبية و تغلغل رؤوس الأموال و المصالح الاستعمارية عن طريق الشركات و المعونات و البرامج المزيفة، التي كانت تموه الناس و تشري ضمائرهم و تجعل منهم عملاء

---

(1) جورج طرابيشي: شرق و غرب- رجولة و أنوثة (دراسة في أزمنة الجنس و الحضارة في الرواية العربية)، دار الطليعة، بيروت، ط2، 1979، ص147.

(2) الطيب صالح: موسم الهجرة على الشمال، مصدر سابق، ص33.

(3) خالدة سعيد: حركية الإبداع، دار العودة، بيروت، ط2، 1979، ص223.

سلبيين، يعملون لخدمة المصالح الاستعمارية".[1]

و هذا هو هدف الاستعمار جعل الناس يخضعون لأوامره، و ذلك بالأكاذيب و هذه "حكاية مصطفى سعيد الذي يشبه عطيل في مسرحية شكسبير المشهورة تارة و يشبه ميرسو في رواية الغريب لكامو تارة أخرى ، فيى حين موريسو الزوجة تضمر له البغض لسواد لونه، و لأنه يشبه في رأيها الإنسان البدائي المتوحش، و يشبه ميرسو في الغريب؛ لأنه على الرغم من محاولاته الجادة لتجاوز الفارق اللوني بينه و بين البيض الأوروبيين، لم يستطع ، وظلوا ينظرون له نظرتهم للغريب العاجز عن تجاوز ذلك الحاجز، وهو من جهة أخرى يشبه بطل عصفور من الشرق لتوفيق الحكيم، و يشبه قنديل أم هاشم ليحي حقي من حيث تسليط الضوء على العلاقة بين الشرق و الغرب".[2]

و بهذا المنظور نخلص إلى أن هذه الروايات العربية، قد جاءت لتعالج علاقة **الأنا بالآخر**، و ذلك بتناول قضايا : كالحب و الجنس و الأخلاق و الاستعمار و الصراع الحضاري و الثقافي بين الطرفين وهذا الصراع بين القديم و الحديث و الأصالة و المعاصرة يعرف بصراع الحضارات، و في الفصل الأول من هذا البحث سنتناول هذه القضايا في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية و العربية، و من بينها رواية «حجذور و أجنحة» للكاتب سليم بتقة.

---

[1] محمد زغلول سلام: دراسات في القصة العربية الحديثة (أصولها– اتجاهاتها– أعلامها)، دار المعارف، الإسكندرية،[د ط]،[د ت]، ص438.

[2] إبراهيم خليل: الطيب الصالح أو زوربا السوداني في ذمة التاريخ، مجلة عمان تصدر عن أمانة عمان، العدد 165، 2009، ص11.

الفصـــل الأول:

التجربة الروائية الجزائرية وثنائية الأنا و الآخر

1- في الرواية المكتوبة باللغة الفرنسية

2- في الرواية المكتوبة باللغة العربية

تمهيـــــد:

أخذ الأدب الجزائري مكانته المرموقة في المنظومة الثقافية، و ذلك باعتباره مرآة عاكسة للمجتمع بالظلال الفكرية و الثقافية والاجتماعية و النفسية.

و يعد ظهور الأدب الجزائري نتيجة للظروف التي واجهتها الجزائر منها ما عاشته في فترة الاستعمار من مشاكل، وكما كان لثورة التحرير فضل كبير على الإبداع الأدبي بعد الاستقلال مما جعل الأدباء يغوصون في المواضيع السياسية و الوطنية، و دخول مرحلة الإصلاحات على يد الاتجاه الاشتراكي مجسدا لواقع الثورة الزراعية،وما تفرضه السلطة الحاكمة، و يدخل العامل الثقافي في تأثير الأدباء الجزائريين من خلال حركة الأدب، و حتى الظروف الاجتماعية من فقر وحرمان.[1]

و لقد تعرضت الجزائر لأبشع استعمار عرفته البشرية الذي حاول طمس معالم الشخصية الجزائرية، و محاولة القضاء على كل مقوماتها.[2]

و كانت هذه أهداف فرنسا، فقد عمدت إلى تجهيل الشعب و نشر البدع و الخرافات و الشعوذة و التشجيع عليها، و محاربة اللغة العربية و روادها و معلميها محاولة إبادة الشريعة الإسلامية، و الشعب عن طريق المذابح و التعذيب و نشر الأوبئة و الأمراض و تدمير البنية الاقتصادية ليتحول ما تبقى من الشعب إلى جياع عراة و تحريم التعليم عامة، لكي يصبح الشعب الجزائري مجرد جهلة و مغتربين وخدما لدوائر الاستعمار ليس إلا؛ أي تدمير الجزائر شعبا و حضارة ودينا.[3]

---

(1) ينظر: عايدة أديب بامية: تطور الأدب القصصي الجزائري، تر: محمد صقر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، [د ط]، 1982، ص66، 71، 72.

(2) ينظر: شريبط أحمد شريبط: مباحث في الأدب الجزائري المعاصر، الشروق للنشر، الجزائر، ط1، 2001، ص56.

(3) ينظر: محمد مورو: بعد 500 عام من سقوط الأندلس، 1492 م- 1992م الجزائر تعود لمحمد (ص)، المختار الإسلامي للنشر، القاهرة،[د ط]، 1992، ص46.

لقد كانت الأحداث التي مرت بها الجزائر منذ أن وطأ الاستعمار الفرنسي أرضها قد تجلت في الأعمال الأدبية منها الرواية " ويذهب رولان بارت (R.barthes)، في بعض كتاباته، إلى أن الرواية عمل قابل للتكيف مع المجتمع."[1]

و ذلك من خلال الرواية التي هي عبارة عن استعارة كبرى للواقع " إن الطرح الروائي يكون هو الأبرز في التعبير عن حالة الوطن الراهنة و الاقتراب من الذات العربية الجزائرية (...)."[2]

ومن بين أهم القضايا التي شغلت اهتمام الروائيين الجزائريين سواء أكانوا داخل الوطن أم خارجه ثنائية **الأنا و الاخر** ، لذلك اهتمت الرواية الجزائرية عموما، بمعالجة الآخر الاستعماري، وما اقترفه من جرائم و تنكيل، لتحقيق الأهداف التي سطرها الاستعمار الفرنسي قبيل احتلاله للجزائر نهب خيرات الوطن الحبيب، و القضاء على الهوية، لذلك فإننا نجد نخبة من الروائيين أبدعوا لنا منتجا سرديا روائيا يعبر في محتواه عن نزعة الرفض الآخر الاستعماري، سواء أكان إبان الاحتلال أم في أعقاب حصول الدول العربية على استقلالها، وقد انصرف نقدهم إلى الكشف عن مثالب الاستعمار و صور الفساد.[3]

و لهذا سوف نعرض للتجربة الروائية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية و باللغة العربية التي كان موضوعها **الأنا و الآخر** ، سواء أكان هذا الموضوع مركزيا في الرواية أو على هامشها.

---

(1) عبدالملك مرتاض: في نظرية الرواية، عالم المعرفة، الكويت، [د ط]، 1998، ص34.
(2) مصطفى عطية جمعة: ما بعد الحداثة في الرواية العربية الجديدة: الذات، الوطن، الهوية، دار الورق، عمان، ط1، 2011، ص97.
(3) ينظر: سليم بوعجاجة: ملامح خطاب ما بعد الاستعمار في الرواية المعاصرة في الجزائر، رسالة ماجستير، إشراف أ.د نبيلة إبراهيم، معهد الدراسات العربية، جامعة الدول العربية، القاهرة، (2006،2007)، ص67.

1-في الرواية المكتوبة باللغة الفرنسية:

يعد ظهور الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية في القرن العشرين؛ بتأثير من الأدب الغربي عن طريق المثاقفة.

و أما الأدب الجزائري بالفرنسية؛" فهو أدب جزائري بكل معنى الكلمة، كتابه جزائريون مؤمنون بوطنهم و متذمرون من غربتهم عن لغتهم و العربية، بل و حتى عن لهجتهم البربرية، و ليس تعبيرهم بالفرنسية عن طواعية بل هو نتيجة حتمية لواقع لم يكن لهم فيه يد، ولقد تجسد موقفهم الوطني و الأدبي في استعمالهم اللغة الدخيلة وسيلة لإعلان تمردهم على حضارة وجدت بينهم بحكم الاحتلال على كره منهم (...)"[1]

نستشف من هذا أن هم الروائيين الجزائريين الذين يكتبون بالفرنسية المطالبة بوطن جزائري لا يشعر فيه المواطن بالغربة؛ و الضياع و التشرد، إضافة لدفاع عن اللغة العربية؛ و الدين الإسلامي.

و من بين الروائيين الذين كتبوا باللغة الفرنسية مثل: ثلاثية الجزائر لمحمد ديب: « الدار الكبيرة » 1952 و « الحريق» 1954 و« النول » 1957 وتحكي عن بطل يقاوم محاولة محو الشخصية التي يتعرض لها في المدرسة الاستعمارية، ومن خلال هذا الأسلوب يتغلغل الفكر الاستعماري في حياة الأمة الجزائرية؛" وشكل ظهور رواية الدار الكبيرة لمحمد ديب منعطفا حاسما في تطور الأدب الروائي الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية؛ فأول مرة تتجاوز فيه هذه الرواية صالونات المثقفين ومناقشاتهم الفوقية عن العدالة و المساواة ، في ظل الحكم الاستعماري، ووهم التعايش السلمي بين الأهالي و المعمرين ، عن طريق الدعوة إلى الاندماج و الزواج المختلط، لتنزل إلى الطبقات الدنيا من المجتمع وتتحدث عن هموم الناس البسطاء من عامة الشعب، و تصف أحوالهم

---

[1] نور سلمان: الأدب الجزائري في رحاب الرفض و التحرير ، دار العلم للملايين، بيروت، [د ط]، [د ت]، ص10.

المعيشية القاسية، و معاناتهم من الجوع و الفقر و القهر، و لأول مرة تتحدث عن النضال السياسي الجزائري، و عن مناضلين يعيشون في الخفاء، مطاردين من قبل البوليس الاستعماري، و لأول مرة تطرح تساؤلات محددة و صريحة عن الهوية الوطنية وعن مفهوم الوطن، و الهوية الحقيقية للجزائريين."[1]

فقد كشفت رواية **الدار الكبيرة** عن حالة البؤس في الريف، ومعاناة الفلاحين من الفقر المدقع و الاستغلال الفاحش، و قهر المعمرين لهم كلما حاولوا أن يحتجوا على وضعهم المزري.

قاربت عديد من الدراسات "**دار سبيطار**" على أنها ترمز للوطن، و كأن محمد ديب وهو يتحدث عن هذا البيت العتيق يتعمد التأكيد على فكرة الوطن، فما يعاش في دار سبيطار يطابق ما يحدث في الوطن الشاسع الممتد، فحينما يصف السارد البيت وسكانه يمتلك القارئ قناعة و كأنه يتكلم عن الجزائر.[2]

و جاء في الرواية،"إنها بيت كبير، موقوف على السكان همهم الأكبر اختصار النفقات، وجهته ليس فيها شيء، من تناسق: رواق المدخل وهو رواق عريض، ... يتصل الرواق بفضاء على الطراز القديم في وسطه بركة ماء، و في الداخل تزينات كبيرة على الجدران، قيشان أزرق ذو أرضية بيضاء، و على صف أعمدة من الحجر الأسود تقوم في جهة الفناء دهاليز الدور الأول."[3]

لقد أدرك الطفل عمر من أن يكون **الآخر** (فرنسا) هي الوطن؛ لأن الوطن هو الأرض و المصير المشترك، وهو الذي يمنحنا حيزا للحياة و ينتظر منا المقابل، وما

---

(1) أحمد منور: الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، نشأته و تطوره وقضاياه، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، [د ط]، 2007، ص106.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص107.

(3) محمد ديب: الدار الكبيرة، تر: سامي الدروبي، دار الوحدة، بيروت، [د ط]، 1985، ص48.

أغلى هذا المقابل الذي تطلب التضحية بالنفس و النفيس " فالوطن هو أرض الآباء و الأجداد".[1]

و تأتي رواية **الحريق** للكاتب نفسه، و " أحداث هذه الرواية جرت في صيف عام 1939 ونلتقي ثانية بشخصيات رواية سابقة لمحمد ديب الدار الكبيرة، و على وجه الخصوص صبي اسمه عمر في سن الحادي عشر يغادر هذا الأخير المدينة و دار سبيطار متجها إلى الريف، ففي الجزائر البلد الزراعي أساسا يعيش غالبية السكان بصورة مباشرة أو غير مباشرة، مما تنتجه الأرض، غير أن قلة منهم يستفيدون، فعليا من موارد البلاد، المستفيدون الرئيسيون من ثورات الأرض هم المعمرون الذين يحوزون على الملكيات الكبيرة، تمرس عمر على خفايا الأرض في قرية بني بوبلن، على يد كومنداتر رجل كهل مقعد إلى جانبه يعمل المزارعون، و المالكون الصغار و جمهور الفلاحين عديمي الملكية؛ أي الفلاحين الذين لا يملكون مخرجا سوى العمل و الإضراب، القمع هو جواب المالكين الكبار الوحيد؛ فباستغلال حريق شب في أكواخ العمال المزارعين، أتهم الفلاحون بأنهم مضرمي النار و أوقف المحرضون."[2]

و يبدو أن محمد ديب قد ركز على حاجة شعبية ملحة في استرجاع الكرامة البشرية أكثر من تركيزه على؛ أي شيء آخر، ولكن محمد ديب يلوم الاستعمار بصفة عامة على هذه الحالة التي وصل إليها الشعب الجزائري، فهو يقول: " إن الاستعمار مهلك... ذلك أن المستعمر يعتبر عمل الفلاح ملكه الخاص، و بالإضافة إلى ذلك يريد إمتلاك الفرد أيضا."[3]

أما في الجزء الأخير من **النول** التي ظهرت عام 1957، فالمؤلف يعود بنا إلى المدينة" فعمر الآن شاب مراهق بدأ يعمل كنساج زرابي مثل ما فعله ديب نفسه في

---

[1] محمد ديب: الدار الكبيرة، مصدر سابق، ص25.
[2] محمد ديب: الحريق، تر: فارس غسوب، منشورات anep، الجزائر، ط1، 2007، ص07.
[3] المصدر نفسه، ص29.

(الحريق) حيث غزا الفلاحون الجائعون، و العراة المدن ليشاركوا في المعيشة الضنكة نفسها التي كان يحياها من سبقوهم، وفي نهاية الثلاثية نجد عمر، الذي أصبح الآن رجلا يقف بوضوح كرمز للتمرد الجزائري المتزايد، لقد شاهد ميلاد تطور الروح الثائرة للسكان بينما اكتسب هو وعيا شخصيا عن الحياة السيئة التي كان يحياها مواطنوه، وفي طريق نمائه العقلي و الروحي و العاطفي، و البدني، قد تعلم المعنى الحقيقي للاحترام الانساني لذلم فالبطل عمر قرر أن يستريح حتى يحقق لنفسه و للبشرية هذا الوعي و الاحترام و التفرد الجديد."[1]

لقد حاول محمد ديب أن يعطي صورة للجزائر من خلال ثلاثيته الدار الكبيرة ثم الحريق ثم النول، و أن يخط مسيرة نشأة و توحيد، و تعميق الوعي القومي لدى الشعب الجزائري إنها كما يقول: أراغون-" مذكرات الشعب الجزائري، بل إن المكتبة الوطنية للجزائر هو محمد ديب".[2]

إذن يمكن القول إن محمد ديب قد رسم لوحة ضخمة للجزائر عشية الحرب العالمية الثانية، من خلال الفتى عمر الذي يمثل الوحدة الثلاثية بمغامراته التي تجعل القارئ يفهم العناء المادي و النفسي الذي عاشه الجزائريين، و الواقع أن بطل الثلاثية الحقيقي هو الجزائر نفسها.

و تأتي رواية **الهضبة المنسية** لمولود معمري التي ظهرت عام (1952) لقد صورت هاته الرواية عادات و تقاليد المجتمع الجزائري، وكما يكشف لنا الكاتب الآلام و المعاناة التي تعرض لها الشعب من طرف الآخر المستعمر الذي مزق و حطم كل شيء جميل، وما فعلته أيضا الحرب التي نتج من و رائها فراق الأحباب و الخراب بكل أنواعه

---

[1] أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط5، 2007، ص99.
[2] سعاد محمد خضر: الأدب الجزائري المعاصر، منشورات المكتبة العصرية، صيدا بيروت، [دط]، 1967، ص 146.

فتجعل الطبقة الكادحة من المجتمع في حالة من العوز و البؤس" يصور لنا معمري مشاعر الشباب الذي تضطره مشاكل الحياة و الحرب إلى ترك الركن الدافئ الحبيب و الأرض المألوفة، و حتى الأحباب لينخرط في الجيش، ويواجه حياة الجندي الشاقة الذي يواجه الموت في كل لحظة، و الهضبة المنسية هي الجزائر التي في نفس كل جزائري بعيدا عن وطنه ذلك المكان العزيز في القلب و النفس، و هي هنا تمثل كذلك الحياة الجميلة التي تمناها الجزائري لوطنه، و يظل يغذي هذا الأمل أينما كان، سواء كان في المنفى أو في الجبل حيث انخرط في صفوف المجاهدين."[1]

و يمكن القول مما سبق إن الهضبة المنسية هي رمز للوطن الحبيب؛ إنه المكان الذي تخلد فيه ذكريات الشباب و عشق الأرض، و لكن الآخر أبعد **الأنا** (الجزائري) عن وطنه الغالي، بكل ما فعله من أعمال وحشية عن طريق الحرب التي تقضي على الأخضر و اليابس.

و من مولود معمري نسافر إلى عالم مولود فرعون في روايته «**الأرض و الدم**» 1953 تبرز هذه الرواية العلاقة بين **الأنا** (الرجل العربي)، و **الآخر** (المرأة الفرنسية) وهذه الرواية تطرح نمط التعاون مع الآخر، و السؤال الذي يطرح نفسه هل تستطيع ماري أن تعيش في مجتمع يختلف عن عالمها المتحضر؟ وهل يتقبل أهل القرية في منطقة القبائل هذا؟.

تحكي هذه الرواية قصة شاب قروي من إحدى القرى المتواجدة بأعالي منطقة القبائل وهي قرية **إغيل نزمان**، يدعى عامر سافر إلى شمال فرنسا من أجل العمل في المناجم، لكي يلتحق بالجالية القبائلية وبابن عمه، الذي وقع في حب صاحبة النزل الذي يسكن فيه، و ذات يوم وقع حادث رهيب في المنجم، مات فيه ابن عم عامر الذي كان

---

[1] سعاد محمد خضر: الأدب الجزائري المعاصر، مرجع سابق، ص172.

نائما هناك، فغادر عامر المنزل، و لكنه أحب ماري وهي البنت الغير شرعية لصاحبة النزل و كانت هذه الفتاة عشيقة ابن عمه، فتزوج بها، فيقرران العودة إلى الجزائر؛ أي إلى قريته لكي يتما ما تبقى من عمرهما،لما عادى إلى القرية وجد عامر أمه كمومة في انتظاره، التي فقدت زوجها، فبدأت ماري تتعرف على نساء القرية، أما عامر فبدأ يتقرب من أهل القرية، ولكن أقرباء إبن عمه لم ينسوا موت إبنهم، " يعود عامر أوقاسي في رواية الأرض و الدم إلى قرية إغيل نزمان ومع غنيمة ماري الشابة الفرنسية التي ستذوب في الحياة القبائلية لكن لن تكون حصان طروادة و كيف سيستقبل أهالي القرية هذا الزوج القادم من عالم من عالم يجهلون عنه الكثير؟ و كيف سينظرون للآخر (ماري) الفرنسية و لزواج عامر منها؟ هل هو خيانة" أم هو خيانة الأرض و الدم؟... ولعل علاقة (الأنا) الجزائري (بالآخر) الفرنسي تحمل الكثير من الالتباس، فالآخر القادم من الغرب الذي يملك العلم و التكنولوجيا و الهيمنة العسكرية يمكن أن يصدر ثقافته للأنا بأية وسيلة و (الأنا) يحرص دائما على التذكير بأن جذوره الضاربة في القدم، و أن له ثقافته التقليدية لذلك فهو غير قابل لاستيراد ثقافة (الآخر) و لن يستهلكها حتى ولو وضعوها عند قدميه أو بين يديه، لذلك فإن وصول (**الآخـــــر**) «ماري» إلى القرية وقت الظهيرة من فصل الربيع، شد فضول الأهالي و أثارهم؛ لأن مثل هذه الأحداث في القرية تهزها و تحدث فيها نوعا من الاضطراب بعد الركود الذي عاهدته قبل ذلك."[1]

فلما نزلت (ماري) من الطاكسي كانت تبتسم لأهل القرية، لكن أهل القرية كانوا غاضبين من قدوم هذه الرومية و بالقبائلية ثارومیث،" كانت السيدة الجميلة تبتسم لهم ابتسامة ملكة تتنازل لمن هو أدنى منها، قالت لمرافقتها بالمرة، هاهم القبائل!"[2]

---

[1] سليم بتقة: أوراق بحثية في النقد و الأدب، مرجع سابق، ص79 ، 80.

[2] مولود فرعون: الأرض و الدم، تر: عبدالرزاق عبيد، دار تلانتيقيت، بجاية، [د ط]، 2005، ص 04.

و يمكن القول هنا إن (**الأنا**) تنظر لـ (**الآخر**) نظرة متعالية وهذا ما قام به رجال القرية عند وصول (ماري) للقرية " بدا الرجال متضايقين أكثر منهم مندهشين و هم يرون هذه الثاروميث بينهم، فكان الذين يلتقون بالزوجين ينسحبون وهم يخفون سخرية مبطنة تحت جفونهم المجفلة و بزاوية من شفاههم مطة استهجان غير مرئية."[1]

لقد كان زواج عامر من هذه الرومية و اصطحابها معه إلى مجتمع ريفي له تقاليده وعاداته كارثة و فضيحة لدى رجال قرية إغيل نزمان، و حتى عند النسوة و أمه كمومة التي كانت تريد أن تزوجه من إحدى بنات هذه القرية، هناك من هن طيبات وجميلات ومن لا يرفضن والديهن مصاهرتنا."[2]

لقد كانت هذه فضيحة ثاروميث زوجة قبائلي! إنها في عرف أهل القرية كارثة " ليس أحدا منا من يأتي بهذه الحثالة."[3]

وفي نهاية الرواية يموت عامر و سليمان الذي خانته زوجته شابحة مع عامر تحت ركام الأحجار، و لكنه ترك ماري حاملا بهذا الطفل الذي سيكون و ريثا، و يجعل من ماري تبقى في هذه القرية.

فقالت كمومة لماري عند دخول شابحة:" هل تحرك، نعم عندما دخلت شابحة .

الحمدلله يا بنتي سيكون لنا وريثا."[4]

و خلاصة القول إن مولود فرعون صور علاقة الأنا (الجزائري) بالآخر (المرأة الفرنسية) وذلك أن الأنا تنبهر بالغرب بسبب تطوره ماديا وثقافيا، لكن الأنا تبقى محافظة

---

(1) مولود فرعون: الأرض و الدم، مصدر سابق، ص 05.

(2) المصدر نفسه، ص 36.

(3) نفسه، ص 44.

(4) نفسه، ص 322.

على مبادئها، فماري ترمز (**للآخر**) الأنثى و (**الأنا**) عامر الرجل الشرقي الذي إنهزم حضاريا و سياسيا، فيعوض ذلك بفحولته و يتزوج من أنثى غربية، و هذه تعد خيانة للأرض و الشرف لدى أهل قريته.

وفي روايته الأخرى «**الدروب الوعرة**» 1957 هذه الرواية التي تدور أحداثها بين قريتي (آيت واضو و إيغيل نزمان) و أن دروب الحياة كلها دروب وعرة، و مع هذا كله يبقى البطل متماسكا لا يعرف الاستسلام و اليأس بعد استيلاء (ذهبية) على عقله، لكنه لا ينكر الحقيقة الثابتة في مجتمع يعيش تحت قساوة الاحتلال،" وجدت نفسي كغيري من الناس أمام دروب وعرة. لماذا كانت جميع الدروب التي أراها أمامي هي دروب الشقاء؟ سيكون طريقنا وعرا كغيره من الطرق، كنت دائما أحلم بإعطاء قلبي،و روحي لشخص لا أعرفه من قبل، شخص تجمعني به المصادفة على دروب الحياة."[1]

و هذا بسبب المستعمر (**الآخر**) الذي جعل الحياة أمام (**الأنا**) الإنسان الجزائري صعبة و شاقة" الذي زرع التعاسة و البأس، فسلب الأرض و قهر النفوس،و الرقاب و تحكم في العقيدة وتصرف، و بالتالي عمل على سلب الإنسان الجزائري إنسانيته في الجزائر و فرنسا معا، و هو الضيم الذي جاءت ثورة 1954 لدفعه، و كان بعد ذلك مولود فرعون نفسه أحد ضحايا العدو الاستعماري، و جبروته."[2]

لقد عالجت هذه الرواية أفعال الآخر المستعمر الذي جعل الحياة وعرة وصعبة لدى الأنا الجزائري، فقضى على الحياة الجميلة و الآمال النبيلة التي كان يحلم بها كل جزائري.

---

(1) مولود فرعون: الدروب الوعرة، تر: حنفي بن عيسى، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ط2،[د ت]، ص 260، 263، 264، 272، 277.

(2) عمر بن قينة: دراسات في القصة الجزائرية (القصيرة و الطويلة)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، [د ط]، 1986، ص150، 156.

أما في رواية « **نجمة** » لكاتب يسين 1956 تمحورت أحداث هذه الرواية حول امرأة عشقها الجميع، و استعصى عليهم الحصول عليها؛ فهي امرأة تملك ظل كاهنة و يسري في عروقها دم بني هلال، كانت رمز للعزة و الأرض الثائرة الغاضبة التي يموت في سبيلها الشاب الجزائري.

و تناولت الرواية " حالة البطالة و الفقر المدقع الذي يعيشه الجزائريون في المدن و الاستغلال و المهانة التي تعرض لها العاملون في ورشات المعمرين و ضياعهم على أطراف المدن، وهو ما يضاعف إحساسهم بالظلم، و يدفع بعضهم إلى التمرد و ربما إلى ارتكاب جرائم قتل، و قد تناول الكاتب أيضا في جانب من الرواية مظاهرات 08 ماي 1945 التي وقعت في سطيف و خراطة و قالمة، وراح ضحيتها عشرات الآلاف من الجزائريين، و صور وقائع من القسوة و الوحشية التي قمعت بها تلك المظاهرات."[1]

و قد كانت هذه المظاهرات مؤشرًا لانفجار ثورة التحرير الكبرى في الفاتح نوفمبر 1954 التي كانت حلا للقضاء على ما طال الجزائريين من تشويه و تدمير و تعذيب و ذلك حتى تتمكن الجزائر من تلمس طريقها و استعادة هويتها.

يقول السارد :" لم تكن سوى رمز ضياعي، و أملا زائفا للهروب مما كنت أعانيه.... لم أعرف أحدا عاشرها واختلط بها دون أن يفقدها، و بذلك تكاثر المنافسون عليها...."[2]

و يتبين من خلال كلام السارد عن نجمة؛ أنه يتحدث عن الأرض، أو الوطن الجزائر، حيث" تبرز صورة المرأة التي ترمز إلى البلاد و الوطن، في شخصية نجمة إذ تكشف هذه المرأة، كما رسمت من خلال مجموعة الصلات التي تربطها بباقي

---

(1) أحمد منور: الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته و تطوره و قضاياه، مرجع سابق، ص107، 108.

(2) كاتب ياسين: نجمة، تر: السعيد بوطاجين، منشورات ضفاف و منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2014، ص 184.

الشخصيات، و من خلال موقفنا منها؛ إنها هوية الأرض إذ تبدوا نجمة رمزا للشعب الجزائري في زمن القهر الاستعماري، زمن انتظار الحل و رمزا لبدايات التحول، و النمو و التطلع نحو الأفضل؛ إنها الرغبة في تكسير الموجود من القيم، وواقع لبناء شيء جديد مختلف، لكن نجمة تبدو في مجموع العلاقات هذه ضحية الجميع، فمأساتها تكمن في تقييد حريتها و استغلال جمالها."[1]

ومما لا شك فيه أن نجمة هي الجزائر بجميع مكوناتها، بعطائها و جمالها و تنوعها التي يهيم بها أبناؤها ولا يقدرون على حمايتها من العدو المتربص بها لنهب خيراتها.

وهذه حال أبطال رواية نجمة لخضر و مصطفى و مراد ورشيد، فكلهم تمردوا على سلطة (**الآخر**) المستدمر و رفضوا الإهانة؛ لأنهم عاشوا حياة التشرد، و الملاحقات البوليسية و السجون، وقد وجد بعضهم نفسه مدفوعا لارتكاب الجريمة، فمراد الذي لم يستطع احتمال الظلم، و الاهانة التي تعرضت لها خادمة عربية تعمل عند المقاول «ريكارد» حين حاولت العروس «سوزي» و بعض المدعويين لحفل زفاف المقاول و إرغام الخادمة العربية على شرب الخمر، و ضربها ضربا مبرحا فتدخل مراد بقوة ليخوض معركة ساخنة لوحده انتهت بمقتل المقاول وعروسه.[2]

و يبقى كاتب ياسين – رحمه الله – أقوى قلم تصدى لموضوع تشويه الاستعمار الفرنسي للهوية الجزائرية؛ لأنه اكتوى بعذاب هذا المحتل المتوحش وذاق مرارة السجن و التعذيب منذ طفولته.

---

[1] أم الخير جبور: الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2013، ص253.

[2] ينظر: كاتب ياسين: نجمة، مصدر سابق، ص26، 27.

لقد صورت هذه الأعمال الروائية حالة البؤس الاجتماعي، و الحرمان التي أصابت الشعب الجزائري من كل نواحي الحياة، كما كشفت هذه الروايات عن معاناة الفلاحين و الحرفيين في القرى، و الأرياف، وفي المدن وعبرت عن صراعهم اليومي مع لقمة العيش، و قسوة الطبيعة، و ظلم السلطات الاستعمارية، و استغلال المعمرين للعمال الجزائريين لجهدهم و عرقهم.

و تأتي رواية «**الإرانثة**» لرشيد بوجدرة (1957) تبرز ما يقوم به (**الآخر**) الغربي العنصري الذي يتربص بالعربي المغترب الذي عانى من المتاهة بسبب المدينة لغربية التي تعمها الفوضى، و الهرج" إنها صورة المدينة الغربية الحديثة بحياتها الفوضوية(...) وهي مثل مغارة يتحرك فيها كل هؤلاء الناس الزائغين الكئبين، الذين يحنون إلى الغابات الخضراء و النور الطبيعي و أشجار البرتقال."[1]

مدينة تلتبس فيها الأحاسيس بين انبهار، و حيرة و كآبة، تماشيا مع صدمات النور و الظلمة.

و يصور الرواي ما يقع تحت أنظار بطل الرواية المغترب في أزقة باريس، و هو يرى كيف تمتهن كرامة العمال العرب في بلاد الغرب، بأبشع صور الاستعباد و اللا إنسانية، فقد شاهدهم " وهم يسعلون رئاتهم في ورق أكياس الاسمنت في ذهاب و إياب دون فكرة مسبقة، ثم آخرون أيضا فقدوا عيونهم، سيقانهم، أدمغتهم، و أغلق عليهم في ملاجئ سجون قضبان حديدية، أجهزة بلاستيكية، وهم يفقدون هناك جلودهم الذي غلاها الفولاذ و أحرقتها الأفران... ذات الغاز، الفحم، المازوت، البترول، الجير، الزيوت الثقيلة

(1) عبدالعزيز بوباكبير: الأدب الجزائري في مرآة استشراقية، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط1، 2000، ص147.

الأقواس، التأثير... و آخرون أيضا مسحوقون مفتالون، مرميون، معطوبون مغرقون(...) الصورة التي رآها خلال تسكعه تهتز بحدة."[1]

إنها حدة ما يحس به هذا العربي المغترب من مرارة الألم الذي يعاني منه، هو و إخوانه تحت وطأة الإهانة و الوحشية، فيصاب البطل بالجنون بسبب ما عرضه له **الآخر** من منتجات و مصنعات و صور و إشارات ورموز التي لا يفهمها؛ فتجعله يشعر بالدوار و الإزعاج فقد " شوهد وهو يروح ويجيء في الدهاليز، نظراته تتعثر، بهذه الصور التي تعرض الجبن وعلب مستحضرات التنظيف،ومرق الطماطم و المناظر الغريبة للأطباق الطازجة و المقلاة و مستحضرات الزينة،و الكتابات المقلوبة و آلات الغسل و التخوت الجلدية وورق إستنجاء و النساء العاريات،و الثلاجات و السيارات وغاسلات الأواني و الأسفار اللوتسية الأسطورية و السباغيتي، و الدراجات ومزيلات الروائح..."[2]

و هكذا يغرق البطل في هذه الحضارة المتطورة بوسائلها التقنية و بهذا يجد نفسه مهزوما وضائعا وفي حالة تشظي" وهو ملتصق بكل هذا الطوفان من الضوء؛ فإنه يحس إحساسا ضعيفا بالضرب من الانتحاء الذي يبقيه متيقظا؛ لأنه لا يريد أن يترك نفسه تمزقها الرموز الوامضة التي تتربص به لتغزوه، و تبهره وتجعله مجنونا."[3]

و نستشف من هذا أن الغرب (**الآخر**) يحاول أن يجعل المغترب العربي في حالة جنون حتى في أرضه بعد سلبه كل شيء عندما جاء محتلا لبلاد (**الأنا**) الجزائري،و بهذا يصبح العربي فاقدا لعقله أمام هذه الحضارة القاسية؛ فالغربي يستعمل في بلاده الصورة

---

(1) رشيد بوجدرة: الإراثة، تر: جلالي خلاص، المؤسسة الوطنية للكتاب منشورات ANEP، الجزائر، [د ط]، 2007، ص80.

(2) المصدر نفسه، ص13.

(3) نفسه، ص106.

كسلاح تقني و إشهاري دليل على تفوقه الحضاري، حتى يسيطر على الآخر،و يثير انبهاره وخوفه في الوقت نفسه.

فأول عبارة تبدأ بها رواية «الإراثة» هي " شدة الروعة"[1] التي هزت كيان **الآخر** داخل دهاليز الميترو، وما هذه الروعة إلا ذهول البطل العربي المغترب الذي ينزل وسط زحمة الميترو، المشفر بالصور و الملصقات الاشهارية و الاشارات،" الملصقات الاشهارية... المتوالية هي الأخرى، الواحدة تلو الأخرى في ثبوت قطعي يثقب الحدقة المجنونة، و يكدس الصور الواحدة فوق الأخرى، تتسابق، تتلاحق و تتجاوز... ذلك ما يتسبب فيه حضور نفس الملصقة على أبعاد منتظمة تمثل دوما ذات المشهد مفتخرة بهذا المنتوج أو ذلك " إنتاج، كولومبيا البن)، وهكذا على مسافات طويلة تخلق دورانا مضاعفا ناتجا عن الدهاليز و الملصقات المثبتة بمنة ويسرة بل على الأرض."[2]

و يبدو أن هذه الصورة قد أراد من خلالها الغربي **(الآخر)**، أن يجعل العربي المغترب في دوامة، ويزرع الدهشة و الحيرة في نفوس الأغراب، بعظمة هذه الحضارة و "هذا ما حدث لبطل الرواية الذي أصبح غارقا في متاهة لا يعرف مخرجا لها "انثنى نصفين ووقع بين الانبهار و الغثيان، فلا يعرف كيف يفك... هذه الكتابة التي كان يعرف عن حدس؛ أنها أساسية كانت المتاهة تدوخه فضرب التوجيه عرض الحائط، واستمر يجول غارقا في مناجاة داخلية صماء، وهو لا يعاتب سوى نفسه و العسكر نادما على ترك ذاته لسراب ما وراء البحر المتلاطم..."[3]

---

[1] رشيد بوجدرة: الإراثة، مصدر سابق ، ص05.

[2] المصدر نفسه، ص12.

[3] نفسه، ص179، 180.

لقد كان هذا العربي المغترب يظن أن ذهابه إلى الغرب الذي يبهره دائما" لن يتطلب سوى العمل كي يجمع قليلا من المال،و يعود بسرعة إلى الجبل حيث يشتري بقرة حلوبا سخية تحل محل بقرته التي ذهبت ضحية العين المشئوومة أو شعوذة العسكر."[1]

و يمكن القول إن الصورة بالنسبة للغربي (**الآخر**) واضحة المقاصد، و لكنها عند البطل المغترب؛ فإنها غامضة مبهمة، ومنطمسة المعالم، و هذا كنه لإيقاع الغرباء و يحقق **الآخر** أهدافه من خلال التكنولوجيا،و التقنيات التي يقف عندها المغترب عاجزا لا يفهم شيئا من شدة التعقيد و الغموض، و يتيه البطل المغترب وسط هذه البلاد.

أما في رواية «**سأهبك غزالة**» لمالك حداد 1959 فجاءت لتعبر عن الوطن و المنفى وحالة الاغتراب التي يعاني منها المؤلف الذي يعيش في باريس، فهو يهجوا هذه المدينة (باريس) ؛ بأنها مكان يهتم بالوضيع و السطحي و أرض التحييد الرومنسي،وهذا دليل على أن المؤلف يرفض هذه المدينة ويشعر اتجاهها بالازدراء، ولأن المؤلف يحس بالغربة؛ فهو يرى كل شيء في باريس سوداني وقاتم يقول: " و آل الأمر بشذرات الشمس المتفرعة – العاطلة التي وقعت في سلة المهملات، وما أغرب الشمس تقع في سلة المهملات. وعلم فرنسا، سماء باريس، مكانتها كلها تعلوها كدرة و ينتابها حزن صعد من أحشاء المؤلف إلى عينيه التي تلتقط صورة المكان" كانت سماء باريس تغشى باريس تلتهم أهلها." " ولقد كان ذلك العلم في أساه المثلث الألوان كمحارب من قدماء المحاربين شاخ فأحالوه على المعاش". و المكتب كان حزينا . إذ جميع المكاتب حزينة."[2]

و يمكن القول من خلال ما سبق إن المؤلف في هذه الرواية يرفض مكان (**الآخر**) باريس الذي يصفه "بهذا الوصف الذي يكشف عن رفض المؤلف لهذا المكان (باريس)

---

[1] رشيد بوجدرة: الإرائة، مصدر سبق ذكره، ص 185.

[2] مالك حداد : سأهبك غزالة، تر: صالح القرمادي، الدار التونسية للنشر، الجزائر، ط1، 1973، ص15، 16، 19، 20.

الذي تغيب فيه إنسانية الإنسان؛ فشمس باريس لن يتعدى اهتمامها سلة المهملات و علمها ملون بأسى الشعوب المستضعفة في مستعمراتها؛ فهذا العلم ملطخ بدماء المظلومين لذلك بدا كمحارب قديم لا قيمة له اليوم، و في هذه الرواية مشاهد وصفية لمناطق من باريس يعيد المؤلف تصويرها محملة بأبعاد هجائية."[1]

إذن فالمؤلف في هذه الرواية يبرز لنا واقع مدينة باريس؛ إنها مدينة لا تعير أي اهتمام لمشاعر الإنسان و روحه وهذا يظهر في شخصية << جيزيل>>، فهي إمرأة مثقفة و ناجحة مهنيا إلا أنها فقيرة عاطفيا بسبب العلاقة العاطفية المتدهورة بينها وبين زوجها و بهذا يرفض المؤلف هذا الواقع المعيش في باريس؛ لأنه يقوم على المادة و المنفعة و المصالح،و يهمل قيمة الإنسان.

فصار المؤلف يشعر بالغربة في حياته كلها فيقول في نفسه:" يا لها من حياة كلبة ! و يا له من خطاب بدون مستمع!... لقد كان المؤلف خطابا مستمع؛ إنه كمحرك يدوي وتيرة واحدة ولا يستطيع إليه أحد، عندما تكون غير أنيق البحر يتيما، و عندما لا ينصت أحد إلى المذياع وعندما لا يراسلك إنسان، و عندما يكون معنى لفظة إنسان جميع الناس."[2]

و نستشف من هذا أنه على الرغم من مغريات (**الآخر**) باريس،وجمالها لم يعد المثقف معجبا بها " ومن خلال التطور الفكري الذي أحدثته مجموعة التراكمات التاريخية نما حس نقدي مرهف لدى المثقف العربي، أدى إلى التوقف عن نغمة الإعجاب المفرطة بالغرب، تلك النغمة التي كانت تصدر أحيانا بمبالغة شديدة، كما نشأ أيضا إحساس بالإحباط ناجم عن تكشف الغرب كمن خلال ما ظهر من انفصام بين النظرية

---

[1] نورة فرج: ارتباكات الهوية (أسئلة الهوية و الاستشراف في الرواية العربية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2007، ص109.

[2] مالك حداد: سأهبك غزالة، مصدر سابق، ص69.

و التطبيق، فقد كانت نظريات الغرب ممتلئة بأفكار عن الحرية و المساواة و الإخاء و الديمقراطية وحق الشعوب في تقرير مصيرها، غير أن الخبرة التاريخية المريرة التي جابهتها الشعوب العربية في مرحلة تحررها من الاستعمار قد جعلت العربي يعيد النظر إلى الغرب."[1]

ومما لا شك فيه أن المؤلف في رواية سأهبك غزالة لمالك حداد شعر؛ بأنه (**الآخر**) مختلف عن مدينة باريس التي تعد مكان للأحلام و المساواة و مدينة الملائكة و النور أصبحت بالنسبة للمؤلف مكان المنفى و الاغتراب؛ فهو يرفض هذا المكان (باريس) فسكان باريس يشبهونها في الطباع حسب رأي المؤلف « جيزيل» صاحبة دار النشر " كانت تحب باريس لأنها لا تخشاها، وما حب باريس إلا بالرضاء بها، لقد تعودت على باريس فكونتها باريس تكوينا."[2]

و هكذا شعر المؤلف بأنه آخر بالنسبة لمدينة باريس؛ لأنه يرى أنه غريب في هذه المدينة الأسطورية فبدا كل شيء في نظره حزينا كئيبا.

وخلاصة القول إن الروائيين الذين يكتبون بالفرنسية **الآخر** عندهم هو المستعمر الفرنسي الذي دمر الأرض وهتك العرض، و استغل خيرات (**الأنا**) و أراد أن يمسح هويته و الأنا في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية هو الجزائري ، و هكذا تبقى هذه الرواية التي كتبت بالفرنسية رغم الانتقادات و الإشكالات التي تحوم حولها، هل تدخل في الأدب الجزائري أم في الأدب الفرنسي؟ ومع ذلك؛ فإن هذا الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية مزال مستمرا و يعد جزءا من أدب الجزائر، و يظل ظاهرة مهمة في تاريخ الأدب العربي الحديث.

---

[1] رزان محمود ابراهيم: خطاب النهضة و التقدم في الرواية العربية المعاصرة، دار الشروق، عمان، ط1، 2003، ص228.

[2] مالك حداد: سأهبك غزالة، مصدر سابق، ص 21.

و بعد هذا العرض لإشكالية الأنا و الآخر في الرواية المكتوبة بالفرنسية ننتقل إلى التجربة الروائية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية التي تناولت هذه القضية الحضارية الشائكة.

2- في الرواية المكتوبة باللغة العربية:

لقد تناولت الرواية المكتوبة باللغة العربية الآخر؛ فمنها من جاء فيها موضوع الغرب ثانويا في معالجة قضايا سياسية و اجتماعية، وروايات أخرى حضر فيها الآخر موضوعا رئيسا يبين من خلالها الروائي علاقة **الأنا بالآخر** و أوضاعه الخارجية و الداخلية.

و من بين هذه الروايات «حار ونور» 1975 لعبدالمالك مرتاض كشف فيها عن سموم الايديولوجية الاستعمارية في المدارس الجزائرية.[1]

و الحق أن الروائيين الجزائريين عبروا عن الواقع بكل تفاصيله و تعقيداته، سواء كان ذلك بالرجوع إلى فترة الثورة أو بعدها ليعالجوا مشاكل نفسية و اجتماعية و يفسر السعيد علوش هذا الرجوع إلى الثورة يقول: إن ما يدفع الروائي إلى البحث داخل الماضي لا هو تعرفه فيه على نفسه؛ إنه يقوم بفرز ما يمكن أن بفهم، و ما يمكن أن ينسى في الحصول على التمثيل الوضوح داخل الحاضر... و هدفه التاريخي بهذا هو إعطاء هوية للذي يحي بواسطته، هروبا من النسيان الذي رسمه المستعمر (**الآخر**)، على جسده."[2]

---

[1] ينظر: واسيني ألأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر،الجزائر، ط1، 1986، ص166.

[2] محمد البصير: الموقف الثوري، رسالة ماجستير، الجزائر، 1986، ص35، نقلا عن سليم بتقة: أوراق بحثية في النقد و الأدب، مرجع سابق، ص37.

فرواية «اللاز» للطاهر وطار 1974 اهتمت بالثورة و أحداثها و يعالج فيها الكاتب موقفا ايديولوجيا، يقول محمد مصايف: " هذه رواية اللاز في محتواها العام وفي اتجاهاتها الايديولوجية السياسية في الأدب الجزائري الحديث."[1]

و يمكن القول إن رواية اللاز من أبرز الروايات التي وظفت الثورة التحريرية واستفادت منها كثيرا " و تعد رواية اللاز العمل الأول الذي مهد لظهور الرواية الوطنية المكتوبة بالعربية، و التي عولت على الحرب التحريرية مادة لها(...)."[2]

و هذه رواية اللاز التي " انطلقت أحداثها الساخنة ماديا ونفسيا من قرية هادئة في شرق الوطن، وانتهت دموية في الجبل، ويقدم الكاتب في مطلع المتن ما يشبه التمهيد إعازا بالنتائج، كما يختم الرواية في النهاية بما يصور ملامح إفرازات الثورة التحريرية تتضمن بعض النتائج السلبية بعد الاستقلال، بموقف في المدينة أمام مكتب المنح الخاصة بالمجاهدين و ذوي الحقوق أبناء الشهداء و أراملهم و أبائهم حيث تعلن مواقف وصور نفسها قيم الثورة و أمال الاستقلال."[3]

و إذا بحثنا في هذه الرواية (اللاز) عن الآخر؛ فإننا نجد الغرب يحمل وجوها عدة منها ذلك الوجه المقزز و المنفر الذي يبعث على الشك و النفور و الريبة؛ لأن " أجدادنا يتطايرون من الأشقر و الأشهب و الأبيض الناصع، و يقطعون طريقهم إلى السوق أو غيرها، إذا اعترضهم شخصا من هذا النوع... علل ذلك بالقطيعة بين الشعب و الدخلاء

---

(1) السعيد علوش: الرواية و الايديولوجيا في المغرب العربي، دار الكلمة للنشر، بيروت،[د ط]، 1983، ص27.

(2) محمد مصايف: الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية و الالتزام، الدار العربية للكتاب، بيروت، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر،[د ط]، 1983، ص53.

(3) عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث تاريخا و أنواعا وقضايا و أعلاما، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، [د ط]، 1995، ص220.

الرومان.. أزرق عينيه لا تحرف ولا تسرح عليه ... لم يتعلم أجدادنا لغة الرومان، لكن سرعان ما تعلموا لغة العرب."[1]

إذن هذا هو اللاز " رمز لهوية الشعب الجزائري الذي يكتب وطار معاناته، عبر سنوات طويلة يتخبط في سراديب التيه، يتشرد هروبا من الحروب و الفتن، هو كاللقيط الذي لا أم ولا أب له، لكنه قادر كما هو حال اللاز في نهاية المطاف أن يتمرد على واقعه الصعب، على ازدراء الناس منه؛ إنه يتمرد على مسلسل حياته ويثبت؛ إنه ابن الثورة وابن الوجود وابن المستقبل وصاحب قضية أكون أو لا أكون، و أراد وطار في هذه الرواية أن يومئ إلى أن الشعب الجزائري لم يعد يمتلك مرجعية ذات القرار السيادي توحد صفوفه و ترعى مصالحه؛ إنه شعب يتخبط ليس له ايديولوجية يتمسك بها، فهو بين أصالته العربية المفقودة ، و سراب فرنسيته المفروضة، فقد هويته."[2]

و أضحى اللاز المخلص للشعب الجزائري الذي كافح المستعمر **(الآخر)** المستبد بكل ما يملك" إن حركة المقاومة التي واجه بها المجتمع الجزائري الاستعمار الفرنسي كانت تتضمن الإسلام و العروبة."[3]

و اللاز يرمز **(الأنا)** الوطنية و الضابط الفرنسي الذي يرمز **للآخر**.

و كما تناول وطار موضوع الآخر في رواية «الشمعة و الدهاليز» من خلال شخصية الفرنسي المجنون الذي يستسلم لنزواته التي تقضي عليه.[4]

---

[1] الطاهر وطار: اللاز، موفم للنشر، الجزائر، ط3، 2004، ص142.

[2] عبدالله الخطيب: النسيج اللغوي في روايات الطاهر وطار، دار فضاءات للنشر، عمان، ط1، 2008، ص69، 71، 72.

[3] عمر بن قينة: الخطاب القومي في الثقافة الجزائرية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، [د ط]، 1999، ص97.

[4] ينظر: الطاهر وطار: الشمعة و الدهاليز، كرولونيا، 2003، ص37، 38.

و نجد الآخر في رواية الزلزال هو المتحضر بتقنياته و إبداعه الباهر، " الغرب عندما سحقنا عسكريا، راح يبهرنا علميا و تكنولوجيا."[1]

و الزلزال يوحي بحدوث التغيير و التحول الذي حدث لقسنطينة، فقد زلزلت ولم يبقى من أهلها أحد كما كان، فقد هدموا عالم و أقاموا آخر، فيتحول فعل الزلزال إلى إحساس داخلي يحطم مناعة الذات و يقذف بها في بحر التوترات الداخلية، و الشعور بزلزال الدنيا التي تغيرت بشكل كبير و الذين نزلوا من طبقتهم و صعدوا إلى طبقة غيرهم.[2]

ومما لا ريب فيه أن كل ما حدث للشعب الجزائري بسبب (**الآخر**) المستعمر لكن رفض الإنسان الجزائري الاستغلال الذي مارسه المحتل في حقه وحق وطنه الجزائر و أبنائه.

و يمكن القول إن وطار كتب هذه الروايات فاضحا فيها (**الآخر**) المحتل الفرنسي و أعماله التي قوامها التعسف و الوحشية و الظلم، محاولا ايجاد هوية حقيقية صافية للمجتمع الجزائري بعيدا عن التهجين الثقافي.

و إذا كان الآخر في روايات الطاهر وطار مقززا ويبعث على الريبة؛ فإنه عند صاحب رواية << **شرفات بحر الشمال**>> لواسيني الأعرج هو المثقف صاحب السلوكات الراقية، فشخصية << كلمنسو>> ، صوره المؤلف عكس الأنا الذات المدمرة و المنهزمة:"أنا حبيس ذاكرة تقاوم الموت في الوقت الذي أتمنى فيه قتلها...أنا هنا لأنسى، لأموت على الأقل بعيدا عن الأسئلة المستعصية."[3]

---

(1) الطاهر وطار: الزلزال، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، ط3، 1980، ص160.

(2) ينظر: مصطفى فاسي: دراسات في الرواية الجزائرية، دار القصبة، الجزائر، [د ط]، [د ت]،ص 29، 42.

(3) واسيني الأعرج: شرفات بحر الشمال، دار الفضاء الحر، الجزائر، ط1، 2003، ص143.

فالذات هنا تريد أن تتخلص من ماضيها الذي لا يستحق التذكر، و ليس هناك جدوى من العودة إلى الماضي الذي يقتل الذاكرة ولا ينعشها، بل التعلق بالآخر الذي يعطي الطاقة،و القوة يغذي الروح،و الفكر، و ينشط الذاكرة ، و هذا يتم بعيدا عن الوطن لأن الوطن يمثل الماضي،" لم أتمكن من أن أفتح عيني عن آخرهما و أجد نفسي خارج مرض الذاكرة، لماذا لم يفكروا لنا في أخصائيين لا لاستعادة الذاكرة، ولكن لإطفاء شعلتها المتقدة ، و التخلص من أثقالها التي لا تدفع إلا إلى مزيد من الشطط و العزلة."[1]

أما خطاب (نوح الملياني) على متن السفينة الأمريكية- في رواية «**المخطوطة الشرقية**»- هذا العربي الدوني و المتأثر و المندهش بالقبطان الأمريكي «أوسكار» الذي جعل نوح ولعا بالآخر الأمريكي بعدما كان هائما بالفرنسي المستعمر، و هذا الأمريكي الذي هو الأقوى و المهيمن على العالم كله، "يا سيدي أوسكار، منذ خمسين سنة، و أنا أمارس هذه الطقوس، تخيل قرنا من الممارسات المتشابهة الكاذبة؟ صارت جزءا مني ، من جسدي المنهك،و المتعب،و المقاوم وهي كافية!لأن تجعل مني مؤمنا صالحا ، ومجنونا بالله و الدنيا و البحر، ومع كل هذا شيء من ذلك لم يحدث سوى الضعف و الذي ينتابني من حين لآخر كلما وقفت في مواجهة هذه الزرقة الكثيفة."[2]

و ندرك من هذا أن شخصية أوسكار الأمريكي تثير الخوف،و الهيبة التي تترك الرعب و الضعف في الأنا، "ولا تترك شيئا للصدفة مطلقا يعرف لحظة الحزن من عيني أحيانا يداريني، وفي أحيانا أخرى يصدمني بالحقائق المرة التي تحيط بي كالطحالب و يدخل في الأعماق كالشوكة."[3]

---

(1) واسيني الأعرج: شرفات بحر الشمال ،مصدر سابق ص109.

(2) واسيني الأعرج: المخطوطة الشرقية، دار المدى، دمشق، ط1، 2002، ص324.

(3) المصدر نفسه، ص320، 321.

فهذا الكلام من طرف هذا العربي يؤكد او يثبت إفتتانه بالآخر الغربي، و لأنه يتحدث عن ضعفه وانهزامه أمام الآخر، و هذه حالة الاندهاش نجدها أيضا عند الطالب الجزائري الذي ينتابه الشعور بالدونية او موقفه من حضارة الغرب" كيف سمحت لكم أنفسكم بالسماح لفقير مثلي أن يدخل مدرستكم البالغة النظافة."[1]

و هذا الانبهار يجعل **الآخر** يجعل بالعظمة و التعالي على **الأنا** ، لأن العربي في نظر (الآخر)، هو متوحش و غبي جاهل، يجب على الآخر إعادة تأهيله و تعليمه " ترانا نمشي في ساحة الثانوية جنبا إلى جنب، كل منا بخاصيته، فتسمع ملاحظات من هنا وهناك وترى غمزات و ابتسامات خاصة من طرف أولاد الذوات الذين كانوا يبصقون كلما مررت قربهم، لسبب لست أدريه."[2]

ومن خلال ما سبق ندرك أن الآخر الغربي يحتقر الأنا، ولكن هنا جعل الروائي الفارق بين الآخر و الأنا فارقا طبقيا بين أبناء الأغنياء الذين تحالفوا مع المستعمر فأصبحوا يمتلكون المال، و أولاد الفقراء المعدومين من الجزائريين.

و نعود لواسيني الأعرج في رواية «**الأمير**» هذه الرواية عند قرائتها نلمح أن الروائي يريد القول إن الآخر الفرنسي هو صديق و ليس عدوا، ومن ثم ضرورة الإنفتاح على الآخر، "و لهذا بدا لنا واسيني الأعرج معنيا بمجاملته، فركز على صوت واحد للآخر الفرنسي (المسالم و المتسامح)، لعله يمحوا ذكريات حرب أليمة استمرت أكثر من مائة عام، و يؤسس لعلاقة ودية بيننا و بين الغربي الذي بتنا اليوم أحوج ما نكون إليه ثمة غاية نبيلة يلمسها المتلقي في هذه الرواية، وهي الرغبة في المصالحة وحوار الحضارات بين الأنا و الآخر المستعمر، وقد ساعدت شخصية الأمير عبد القادر الجزائري، الروائي بما تمتع به من صفات أصيلة قوامها الروح الصوفية، التي تميزت

---

[1] ينظر: الطاهر وطار: الشمعة و الدهاليز، مصدر سابق، ص50.

[2] المصدر نفسه، ص53.

بالتسامح و الانفتاح على الإنسان أيا كان، حتى وجدنا الراهب يصفه بأنه كان في كل المعارك مهموما بمصلحة الإنسان، لذلك بات قدوة للآخر الفرنسي، لهذا لاحظ المتلقي كيف أن الطبيب و المترجم بواسوني الذي عمل مترجما لدى الأمير أثناء إقامته في فرنسا يقرر ملازمته حين فك أسره على الرغم من انتهاء مهمته."[1]

فسمعه يقول : "يوم صممت على مرافقتك أنا وعائلتي لم يكن في ذهني إلا شيء واحد، وهو أن أبقى وفيا لمثلي الأعلى في الحياة، أنتم تمثلونه أحسن تمثيل، لا أريد من الحرب التي خضناها أن تجعل الحياة باردة في أعيننا."[2]

وثمة رؤية لدى الروائي في "فتح صفحة جديدة مع الآخر بعيدا عن ميراث الكراهية التي تستدعيها الحرب؛ فعمل على تخفيف العداء بيننا و بين المستعمر، وهذا من حقه، إذ لا يمكن لأحد أن يلومه على ذلك، مادام يحاول أن يرسم ملامح ماض لا دورا في إثارة حقد (الأنا) على الآخر، خصوصا بعد زوال ظاهرة الاستعمار؛ لهذا أراد أن يجعل من شخصية الأمير التاريخية أمثولة تصلح للآخر، مثلما تصلح (الأنا) المسلمة! في زمن مضى وزمن حاضر، لكن ما نأخذه على الروائي المبالغة في استخدام اللغة المستسلمة، التي يرسم بها صورة مناضل ضد الاستعمار، حتى وجدناه يلغي حق الجزائريين في الحرية ويساوي بين الضحية و الجلاد"[1]، فمثلا حين قال << لويس نابليون>> للأمير، وهو يهديه سيفا قبل مغادرته الأراضي الفرنسية: "أنا أعرف أنك لن تسله في وجه فرنسا. فرد الأمير: لم أعد ممن يلتجئون إلى الأسئلة، سأدعو في صلواتي

---

(1) ماجدة حمود: إشكالية الأنا و الآخر نماذج روائية عربية، عالم المعرفة، الكويت، ط1، 2013، ص 217، 218.

(2) واسيني الأعرج، كتاب الأمير، منشورات الفضاء الحر، الجزائر، ط1، 2004، ص532.

(1) ماجدة حمود: اشكالية الأنا و الآخر، مرجع سابق، ص218.

لسموكم و لبلادكم العظيمة خيرا وهداية ، أمام ما يحدث هناك في تلك الأرض الطيبة فالله وحده يعلم سر عواقب الأشياء، أتمنى خيرا فقط للكل."[1]

وفي الأخير نقول هل هذه حقا شخصية الأمير عبدالقادر التي رسمها واسيني الأعرج له؟

ومن دعوة واسيني للانفتاح على (**الآخر**) الغربي نلتقي برواية «**مأوى جان دولان**» لعمر بن قينة التي يظهر فيها الولع بالغرب الحضاري من خلال شخصية (أبو الأرباح)، الذي يحب الفتاة الفرنسية (ميراي) التي عاش معها لحظات سعيدة من الحب و الرومنسية؛ فتعلق بها، و بلغتها يقول: " قبلة في جبينك يا من أنجبت ميراي."[2]

و بعد ميراي أحب (كاترين) الألمانية هذه الفتاة التي زرعت فيه حب الآخر الغربي وحضارته، و أيضا حب و تعلم لغته الألمانية، و أن يكره بلاده، فبعث إليها خطابا" إلى (كاترين) ذات اللغة الألمانية الرائعة، علمتني إياها كما علمتني حب ألمانيا و علمتني أيضا أن من الخير رفض الدعوة إلى الخدمة الوطنية في الجزائر."[3]

و نستشف من هذا أن أبو أرباح لا يريد تأدية واجبه الوطني؛ لأنه لا يحب أن ينتمي إلى هذا الوطن، بل أحب باريس؛ وهذا يعني التعلق (بالآخر) المحتل، ثم هيامه وشغفه بآخر آخر ألمانيا، و هذا يوحي؛ بأنه يحب الغرب كله و يرغب في الانتماء لبلد الآخر وهذا هو التماهي بعينه مع الآخر.

---

(1) واسيني الأعرج: كتاب الأمير، مصدر سابق، ص515.

(2) عمر بن قينة: مأوى جان دولان، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص10.

(3) المصدر نفسه، ص11.

أما (زخروفة) الطالبة الجزائرية التي تسكن في مأوى جان دولان، فهي فتاة تحب السلوكات الشاذة واللا أخلاقية، فهذه المرأة، " توزع العواطف و المشاعر مجانا، الوفاء و الخيانة السافرة عندها وجهان من قطعة الفرنك."[1]

وعندما شاهدت في التلفاز الفرنسي موقف يعبر عن الحرية الفردية طارت من شدة الفرحة، و قامت تصفق بحرارة عن هذا الموقف الذي أعجبها كثيرا، تقول:" صفقت بإعجاب لفرنسية مندفعة كانت تقول بحماس: أنا أحب القبل... أبحث عنها بكل شره حتى من عند الكلاب.. أنا جنس ..أعشق العلاقة الغير سوية.. أتعلق بالتافهين..

- تحيا الصراحة الفرنسية، تحيا الحرية الفرنسية، و ديمقراطية الفرنسيين."[2]

و يبين هذا القول حالة التعلق التماهي مع الآخر الذي جسدته هذه الفتاة، كما " يكشف عن أشكال تمثيل المرأة الغربية من قبل الذات الكابتة، و الذي يجسد على نحو ما، الكيفية التي تتم بها عملية استدعاء، و تمثيل، و تصوير الآخر الغربي في الخطاب الغربي و الجزائري تخصيصا؛ على أنه جماع من الشذوذ و الانحراف، كما عبر عنه خطاب الفرنسية في التلفاز، التي سقطت في شرك الرغبة التي قادتها إلى ممارسة طقوس الجنس مع غير الآدميين."[3]

و لكن هذا الهيام بالغرب، كثيرا ما يؤدي إلى فقدان الهوية، و يحدث تشظيا و ضياعا للذات الذي قد يصل إلى حد الجنون و هذا ما حدث (لعيسى) في رواية «**المرفوضون**» لإبراهيم سعدي" لقد أصيب عيس بالجنون.. ربما لم يكن ذلك جنونا.. لكن عقله لم يكن آنذاك كعقل إنسان عاد... ماذا تريد يا أخي هذه فرنسا."[4]

---

(1) عمر بن قينة: مأوى جان دولان، مصدر سابق، ص46.

(2) المصدر نفسه، ص47.

(3) سليم بوعجاجة: ملامح خطاب ما بعد الاستعمار في الرواية العربية المعاصرة في الجزائر، مرجع سابق، ص141.

(4) ابراهيم سعدي: المرفوضون، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1981، ص28.

و يظل الآخر الغربي يفعل أي شيء حتى يجعل الأنا في حالة جنون،وخوف و بحث عن هويتها، فيه مادام لا هوية واضحة لديه.

وإذا انتقلنا إلى عالم أحلام مستغانمي الروائي وحضور **الآخر** في روائيتها«**ذاكرة الجسد 1993**» و «**عابر سرير 2003**»، و التي تدور أحداثهما في باريس، و تطرح إشكالية حضارية شائكة مع الغرب تتعلق بالهوية و نظرة الأنا و الآخر لبعضهما البعض من خلال (كاترين الفرنسية و خالد الجزائري)، في الأولى ، و بين (فرانسواز وخالد) في الثانية.[1]

و هكذا " فإن إيقاع نقصان ، اللوحة و الاكتفاء برسم الوجه دون الجسد أحد سمات روايتي مستغانمي، ذاكرة الجسد و فوضى الحواس، فبطلا الروايتين يعانيان بتر ذراعيهما فقداهما لأول في حرب التحرير على يد المستعمر الفرنسي، في حين الثاني على يد العسكر الجزائري إبان مظاهرات عام 1988، لذا لا غرابة أن يرسم خالد اللوحة ناقصة؛ لأن الأشياء من حوله تتماشى مع منظوره لجسده، وهويته التي شوهت بفعل الاستعمار، و النقصان محرض نحو اندفاع الإنسان نحو كماله، و لهذا كان اكتمال وجود خالد بعودته إلى قسنطينة لحضور زفاف المرأة التي أحب، و لعل إيقاع النقصان في اللوحة سر تعلق أحلام بها؛ لأنه أحد إنزياحات الجسد اتجاه مدلولاته التاريخية المرتبطة بالكولونيالية الفرنسية على الجزائر وتمسك أحلام بقضيتها و إيمانها في حقها في الوجود يفسر أسباب تعلقها بهذه اللوحة."[2]

---

(1) ينظر: جمال ميباركي: الغرب في الرواية العربية الحديثة، رسالة دكتوراه، إشراف الدكتور الطيب بودربالة، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2008-2009، ص154 و155.

(2) نهال مهيدات: الآخر في الرواية النسوية العربية (في خطاب المرأة و الجسد و الثقافة)، جدار للكتاب العالمي، عمان، ط1، 2008، 111.

و هذا ما وجده خالد عند أحلام يقول: "غريب هو عالم النساء حقا، كنت أتوقع أن تقعي في حبي و أنت تكتشفين تلك العلاقة السرية التي تربطك بلوحتي و إلى حنين لوحة في عمرك وفي هويتك، و إذا بك تتعلقين بي بسبب لوحة أخرى تعبر الذاكرة الخطأ."[1]

إذن علاقة خالد مع كاترين كانت مبنية على الانجذاب و النفور.

و بطل رواية ذاكرة الجسد خالد بن طوبال "سكنته الغربة و الوحدة في وطنه الأصل، فأراد أن يرحل إلى مكان آخر ليفك وحدته راحلا إلى باريس هذا المنفى الذي أصبح حالة و عادة سيئة التي يقوم بها الإنسان، وقد صارت هذه لخالد أكثر من عادة سيئة."[2]

و يشعر خالد بالغربة في مكان (**الأنا**) وفي المنفي بلاد الآخر هاهو يعلن:"ها أنت أمام جدلية عجيبة تعيش في بلد يحترم موهبتك و يرفض جروحك، و تنتمي لوطن يحترم جراحك و يرفضك أنت، فأيهما تختار.. و أنت الرجل و الجرح في آن واحد."[3]

فقد أراد (خالد) أن يحترمه وطنه الأصلي و يقدر ما فعله من تضحيات حتى أنه فقد ذراعه في سبيله و غيرها من النضالات، و أن يحترم كإنسان له كيان وهوية، لكن خالد وجد في هذا الوطن عكس الذي تمناه" أصبح سجنا لا عنوان معروفا لزنزانته لا اسم رسمي لسجنه، و لا تهمة واضحة لمساجينه، و الذي أصبحت أقاد إليه فجرا، معصوب العينين، محاطا بمجهولين، يقودانني إلى وجهة مجهولة أيضا، شرف ليس في متناول حتى كبار المجرمين عندنا."[4]

---

(1) أحلام مستغانمي: ذاكرة الجسد، دار الآداب، بيروت، ط12، 1999، ص96.

(2) ينظر: المصدر نفسه، ص80، 81.

(3) نفسه، ص73.

(4) نفسه، ص243.

فهذا الوطن يقضي على الهمم و إيرادات الأنا: " لنا في كل وطن مقبرة... هنا أوطان تنتج كل مبررات الموت، و تنسى أن تنتج شفرات حلاقة."[1]

و خالد يريد السقوط لمدينة قسنطينة" فأسقطي قسنطينة هذا زمن السقوط ."[2]

إنها المدينة الوطن التي تنتمي إلى أمة لا تحترم مبدعها، و إذا فقد المبدع فيها غروره و كبرياءه ستدوسه أقدام الأميين/و الجهلة، وبالإضافة إلا أن هناك يتم الأوطان فهناك مذلة الأوطان، و ظلمها وقسوتها، هناك جبروتها و أنانيتها.[3]

و من ثمة يتبين أن خالد ينتمي إلى وطن لا يحترم الإنسان وهويته؛ لهذا أراد خالد الرحيل بعيدا عن هذا الوطن إلى فضاء الآخر يقول: " وربما كنت أريد كذلك و أنا على أبواب المنفى أن أنهي علاقتي بتلك البطاقة التي رافقتني منذ 1957 من بلد لآخر و كأنني أنهي علاقتي بالوطن، و أضعه أخيرا هو و أشياء خارج الذاكرة."[4] ونستشف من هذا كله أن الوطن الأصل في نظر خالد هو قاتل للإنسان يقول: " ننتمي لأوطان لا تلبس ذاكرتها إلا في المناسبات بين نشرة الأخبار و أخر، و سرعان ما تخلعها عندما تطفأ الأضواء، و ينسحب المصورون ...."[5]

إذن كاترين أو فرانسواز كلاهما تريدان فرض سلطتهما على **الآخر** أو بالأحرى سلطة الجسد، إلا أن خالدا الرسام يواجههما " بمنطق الفرشاة و منطق الفنان؛ فالفرشاة تشبه صاحبها، و تتحيز بشدة لاختلافها، تكره أن تتقاسم امرأة عارية مع آخرين، لهذه

---

(1) أحلام مستغانمي: ذاكرة الجسد، مصدر سابق، ص287.

(2) المصدر نفسه، ص117.

(3) نفسه، ص181، 289.

(4) نفسه، ص82.

(5) نفسه، ص 118.

الفرشاة أيضا مخططاتها في مقاومة المستعمر، هي فرشاة لرجل رفض وجود المستعمر على أرضه، كما رفض بموضوعية ومبدأ وجود جسد المرأة العارية في لوحته." [1]

و بذلك يمكن القول إن خالدا يعيش حالة تشظي الذاكرة، فهو مكان المنفى و لكنه يحترم فنه و إبداعه و أزمة خالد هي في الاستقرار؛ لأنه هارب من وطنه الأصلي ليعيش أزمة **الأنا و الآخر**" باريس مدينة أنيقة يخجل الواحد أن يهمل مظهره في حضرتها و لكنهم طاردوني حتى مربع غربتي، وأطفئوا شعلة جنوني ... وجاءوا بي حتى هنا".[2]

و في رواية أحلام عابر سرير نلاحظ حضورا كبيرا للوحات الفنية التي رسمها (زيان)، تذكرنا بفضاء غربي استعماري لم يمحى من الذاكرة، تلك الأعمال و الجرائم التي ارتكبتها فرنسا ضد في حق الشعب الجزائري، و كذلك اللوحة التي تخلد ضحايا مظاهرات 17 أكتوبر 1961، حينما خرج الجزائريون في مظاهرة سلمية مع عائلاتهم للمطالبة برفع حظر التجول المفروض عليهم في فرنسا، فأبقى البوليس الفرنسي بالعشرات منهم موثقي الأطراف في نهر السين، مات الكثيرون منهم غرقا و ظلت جثثهم و أحذية بعضهم تطفوا على السين عدة أيام، لكن معظمهم لا يعرف السباحة.[3]

و يلقي خالد تحية عندما يطل من الشرفة ‹‹على جسر ميرابو›› و تحت قدميه الأبديتين يجري نهر لم يؤتمن على أرواح الجزائريين ذات أكتوبر 1961 عندما طفت على سطحه عشرات الجثث التي ألقيت إليه مكبلة.. لو أن للسين ذاكرة لغير الحزن مجراه.[4]

---

[1] ينظر: نهال مهيدات، مرجع سابق، ص110، 111.

[2] أحلام مستغانمي: ذاكرة الجسد، مصدر سابق، ص147.

[3] أحلام مستغانمي: عابر سرير ، موفم للنشر، الجزائر، ط3، 2004، ص59.

[4] المصدر نفسه، ص101.

و لكن يبقى خالد يحن إلى الوطن الأصل على الرغم من رحيله إلى وطن الآخر و هنا تحدث في نفسية البطل إشكالية الأنا و الآخر، فهو غريب في وطنه وحتى في بلاد الآخر وبذلك يمكن القول إن خالدا أصبح يعيش إغترابا في الحياة كلها.

و ندرك أن " للغرب وجوها متعددة في عيون الروائيين الجزائريين، فمن الوجه الحضاري الفني و الفكري، إلى الوجه الاستعماري الامبريالي القبيح، و الوجه التقني المتعصب الاتنوغرافي... وفي كل وجه، أو بين هذه الوجوه جميعا تظل الذات العربية تبحث عن هويتها، و إن كانت تدرك اللحظات التي ضيعتها؛ فإنها لم تجد السبيل بعد و الكيفية التي سترتجعها بها مما ولد صراعا حضاريا بين الشرق و الغرب عكسه المتن الروائي العربي الحديث، وقد أبرز من خلالها الباحثون انعكاسات هذا الصراع ، الفكرية و الاجتماعية و العاطفية، و اغتراب الإنسان العربي داخل وطنه، وتجلى الغربي للإنسان العربي عبر المكان و الزمان و الشخوص ." [1]

وهذا ما تناولته الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية و باللغة العربية، تلك العلاقة الشائكة بين **الأنا و الآخر**، هذا الآخر الذي يبقى دائما حاضرا بقوة " هنا و الآن؛ لأن الاهتمام بالذات و بالآخر هو اهتمام يسكن كل تصور ، أو جسد أو لغة ؛ فالآخر كيفما تقدم إلينا يترجم ذاته من خلال اللغة و الجسد."[2]

و مجمل القول في هذا الفصل يجب التعامل مع الآخر بيقظة وحذر ووعي وسوف نواصل الحديث عن علاقة الآنا مع الآخر، من خلال رواية جذور و أجنحة لسليم بتقة، وكيفية تمظهر الآخر في هذه الرواية.

---

[1] جمال ميباركي: الغرب في الرواية العربية الحديثة، مرجع سابق، ص283، 284.

[2] محمد نورالدين أفاية: الغرب في المتخيل العربي، منشورات دار الثقافة و الإعلام، ط1، 1991، ص11.

الفصل الثاني:

تمظهر الآخر في رواية جذور و أجنحة

1- الآخر المستعمر

2- الآخر المتحضر

3- الآخر المسالم (المحاور)

4- الأنا (التماهي)

تمهيـــد:

تعد الرواية الجزائرية المعاصرة فضاء يعالج فيه الكاتب عدة قضايا سياسية و اجتماعية وثقافية، منها علاقة الأنا بالآخر المستعمر الذي حاول طمس هوية الشعب الجزائري بظلمه و غطرسته.

إذن جاءت الرواية لتكشف عن هذه العلاقات الشائكة بين الذات و الآخر و " لقد قطعت الرواية شوطا كبيرا في وعيها للآخر، باعتبارها الجنس الأدبي الأقدر على التعبير عن العلاقات المعقدة للإنسان الحديث سواء أكان ذلك على صعيد الذات أم على صعيد فهم الآخر، و العالم، و استيعاب التحولات المتسارعة، فتحولت الرواية إلى مخبر للمخيال، تتعدد فيه الموضوعات مثل(المنفى، الغرائبية، الخوف من الآخر(...))."[1]

ومن خلال ما سبق سوف نتطرق إلى معرفة الآخر و تجلياته في رواية جذور و أجنحة لسليم بتقة.

و الآخر هو كل من هو خارج الذات، "فالآخر في أبسط صوره هو مثيل أو نقيض << الذات>> أو <<الأنا>> أو قد ساد كمصطلح في دراسات الخطاب، سواء الاستعماري (الكولونيالي)،أو ما بعد الاستعماري و كل ما يستثمر أطروحاتها (...)، إلا أنه تصنيف استعبادي يقتضي إقصاء كل ما ينتمي إلى نظام فرد أو جماعة أو مؤسسة سواء كان النظام قيما اجتماعية أو أخلاقية أو سياسية أو ثقافية، و لهذا فهو مفهوم في آليات إيديولوجيا (...)."[2]

---

(1) سمية شنوف: تمظهر الآخر في روايات غادة سمان، رسالة ماجيستير، إشراف الدكتور عبدالقادر شرشار، كلية الآداب، جامعة وهران، 2005، ص73.

(2) ميجان الرويلي و سعد البازغي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2002، ص21.

و يمكن القول إن من سمات الآخر؛ أنه يجعل الذات في حالة تمزق، و تفكك بسبب تهديمه لوحدتها، و صفائها؛ لأنه هو المحتل و المستبد، و قد تجلى هذا الآخر في رواية جذور و أجنحة، فهو الآخر المستعمر و المتحضر و المسالم و الآخر المتماهي أي يصير الآخر (أنا).

1-الآخر المستعمر:

الاستعمار هو ظاهرة تهدف إلى هيمنة الدول العظمى، وفرض سيطرتها على الدول الضعيفة من أجل استغلال خيراتها.

و قد وردت هذه اللفظة بمعنى : " احْتَلَال دَوْلَة لِدَوْلَة أُخْرَى، و اسْتِغْلَال خَيْرَاتِهَا و محاربة مقوماتها الثقافية، التي ابتليت به، و من نتائج الاستعمار، و مظاهره الغزو الحضاري و الفكري."[1]

و لفظة استعمار مشتقة من عمر، واستعمره في المكان أي جعله يعمره، و منه قوله تعالى ۞ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ۞.[2]

فهذا المعنى يفيد طلب التعمير و السعي لتحقيق العمران، لكن هذا المعنى لا يتوافق مع الواقع، فجاء في معجم الوسيط: " بِأَنَّهُ اسْتِيلَاءُ دَوْلَةٍ عَلَى شَعْبِ دَوْلَةٍ أُخْرَى و شعب آخر لنهب ثرواته، و تسخير طاقات أفراده، و العمل على استثمار مرافقه المختلفة."[3]

---

[1] محمد بوزواوي: قاموس مصطلحات الأدب، مرجع سابق، ص23.

[2] سورة هود، الآية 61.

[3] ابراهيم مصطفى و أحمد حسن الزيات: معجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، الجزء الأول، اسطنبول، تركيا، ط1، ص51.

ومن خلال هذا ندرك أن (**الآخر**) المستعمر هو الذي حاول محو شخصية (**الأنا**) الجزائري وخاصة في اللغة و الدين و العادات و التقاليد؛ لتصبغها بثقافة جديدة هي ثقافة المستعمر الغربي المتفوق في شتى مجالات الحياة" و يبرز هذا الآخر بصورة المتفوق دوما، المسيطر و المهيمن على الساحة الثقافية العربية."[1]

و يتمظهر الآخر في رواية جذور و أجنحة في صور عديدة من بينها المستعمر الفرنسي بصفة عامة، فتمثل في شخصية (فابيان) و مرافقيه هذا الفتى الفرنسي الذي انخرط في الجيش؛ فيقول الراوي: "فانخرط في الجيش،و لم يكمل دراسته، فقد كانت الدعاية العسكرية أنذاك أقوى من أن ترفض إغراءاتها."[2]

وهكذا يبقى (**الآخر**) المستعمر يريد النيل من (**الأنا**) العربي بكل الطرق،و الوسائل المتوحشة و الاستيطان، و استخدام القوة و السلاح؛ لتحقيق أهدافه الاستيطانية، و هكذا بلغ المستعمر باستهتاره بالشعب الجزائري و الاستخفاف به، و نهب أرضه و إعطائها للمعمرين الأوربيين، هذا الآخر المستعمر الذي هتك العرض ؛ فلم يسلم منه لا الميت و لا الحي.[3]

لقد حاولت فرنسا بكل ما تملكه من قوة وإمكانات سواء أكانت بشرية أم مادية بإحضارها الجنود، و بناء المستوطنات للمعمرين، و تجنيد شبابها، من أجل محاربة الجزائريين بشتى الأساليب و الأعمال القمعية؛ فكان (فابيان) من هؤلاء الذين أرسلتهم فرنسا من أجل المشاركة في القضاء على (**الأنا**) الجزائري ؛ فجاء (فابيان) "نزل الجزائر

---

(1) محمد صابر عبيد وسوسن البياتي: جماليات التشكيل الروا ئي، دار الحوار للنشر، اللاذقية، سوريا، ط1، 2008، ص98.

(2) سليم بتقة: جذور و أجنحة، دار علي بن زايد للطباعة و النشر، بسكرة، ط1، 2014، ص14.

(3) ينظر: محمد عيساوي ونبيل شريخي : الجرائم الفرنسية في الجزائر أثناء الحكم العسكري (1830-1871)، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، ط1، 2011، ص88، 90.

العاصمة مع الذين أرسلوا ضمن الكتيبة الخامسة مشاة من ميناء دنكارك ومنها إلى الشرق"[1].

و الذي لا يخفى على بال أحد أن فرنسا (**الآخر**) غرست في أبنائها منذ نعومة أظافرهم، أن العربي المسلم هو إرهابي، و متوحش، جاهل، فالإنسان الجزائري في نظر (**الآخر**) المستعمر الفرنسي مجرد أناس عديمي الفائدة، ومتخلفين و حمقى، وهذا ما علمته لجنودها، و هذا ما عرفه (فابيان) قبل وصوله للجزائر" كلها تنتصر لأسطورة الرجل الأبيض، و تقلل من شأن الآخر العربي وتصفه بالمتوحش المفترس، و تدعم المساعي التحضيرية و التنصيرية مرورا بالإبادة العرقية."[2]

إذن هذا ما فعله (الآخر) من أجل فصل الدين عن الدولة، و نشر المسيحية و اتباع سياسة الإدماج" لغزو الوطن ، و فرض السيطرة المتصاعدة على الإقليم كعملية مستمرة، واسكات السكان المحليين و غرس المستوطنين، واستغلال الأرض و الموارد و الأيادي العاملة المحلية."[3]

ونستشف من هذا أن شخصية بطل الرواية (فابيان) قد جاءت إلى الجزائر أرض (الأنا) محملة بأفكار تدنس الشرق من خلال ما قرأه عن العربي.

فاتجه (فابيان) نحو الجنوب في الصحراء، لتأدية المهمة التي كلف بها" فخرج فابيان في رحلة طويلة باتجاه الجنوب و قلبه يكاد ينفطر من الفرح، لقد قاب قوسين أو أدنى من الهلاك، إثر تعرضه لنيران صديقة في معركة التل الشرقي، وظل قابعا في المستشفى فاقدا للوعي لأيام طويلة، و بواسطة من أحد معارفه النافذين بالمتروبول تم

---

[1] سليم بتقة: جذور و أجنحة، مصدر سابق، ص14.

[2] المصدر نفسه، ص15.

[3] مارلين ناصر: صورة العرب و الإسلام في كتب المدرسة الفرنسية، مركز دراسات الوحدة لعربية،بيروت، ط1، 1995، ص94.

تحويله إلى الصحراء، في برج مراقبة متقدم، بعيدا عن المعارك، حيث أخبره بأنه سيكون في رحلة اكتشاف واستجمام بأشعة الشمس الدافئة ."[1]

و هذا ما فعله (**الآخر**) المستعمر الفرنسي منذ أن وطأت أقدامه الوطن الحبيب فبدأ بوضع جنوده في كل مكان، و ذلك بهدف السيطرة على الأهالي الذين يعيشون في القرى، و ذلك لمنعهم من الاتصال بالمجاهدين و مساعدتهم لتهريب السلاح و الطعام لهؤلاء الأبطال الذين يضحون بأرواحهم من أجل أن يخرج الظالم العدو (الآخر) الذي جوع الأطفال، و قتل النساء، و قهر الرجال و أباد الأرض، وما يدب عليها من بشر و حيوان، "فنشر الأمراض، و الأوبئة وحصد الآلاف و حولهم إلى مجاعة أدت إلى بؤس شديد جعل، بغالبية الجزائريين إلى أكل الأعشاب و شرب المياه العفنة."[2]

لهذا كانت خدمة و مهمة (**الآخر**) فابيان مراقبة الأهالي (**الأنا**) سكان دشرة سيدي لحسن الطرهوني من البرج ة ما يدور في هذه القرية لكي يكون كل شيء تحت نظره " كانت الوجهة دشرة سيدي لحسن الطرهوني الهادئة رافق فابيان جنديان على متن عربة، وضع فيها جميع أغراضه ، إضافة إلى مؤونة و ذخيرة، مع أن مهمته هي المراقبة و إعداد تقارير عن تحركات الأهالي. لم تنقطع تعاليق المرافقين على اقدام فابيان على هذه المغامرة المحفوفة بالمخاطر. لم يعر فابيان اهتمام كبير لتعليق مرافقيه إلى محطة القطار، كان يستعرض عليهم فوائد السفر."[3]

إذن كانت هذه مهمة فابيان (الآخر) إرسال تقارير عن كل ما يجري في القرية إلى الحاكم، و هذا ما جعل أهل الدشرة يشعرون بالخوف من قدوم هذا (الآخر) فابيان الذي

---

(1) سليم بتقة: جذور و أجنحة، مصدر سابق، ص08.

(2) محمد الأمين بلغيث: تاريخ الجزائر المعاصر دراسات ووثائق، دار البلاغ للنشر و التوزيع، الجزائر، ط1، 2001، ص 156، 157.

(3) سليم بتقة: جذور و أجنحة، مصدر سابق، ص08، 09.

سوف يترصد أخبارهم و ينقلها ساخنة إلى سيده، فنجد (الأنا) الأهالي متخوفون من قدوم هذا الآخر المستعمر (فابيان)؛ لأنه سيراقب كل تحركاتهم الصغيرة و الكبيرة، فبدا الخوف يدب في النفوس من حيرة من مجيء هذا المستعمر،"وصل خبر إقدام الحاكم العسكري إرسال مراقب دائم بسرعة البرق، وقد صادف يوم الجمعة،وهو موعد السوق الأسبوعي للدشرة، مكسرا بذلك سكانها وهدوءها:

- واش ناويين هاذوا الكفار؟
- يظهرلي حابين يحطوا على سيدي لحسن عساس!!!
- تعنيلك الكاريطا ليبناوها باش يسكنوا فيها الذيابا...

ياوباش كونترولي الرايح و الجاي يا الراقد..."[1]

و ندرك من هذا أن الأهالي أصبحوا يشعرون بالقلق بسبب هذا الوافد الجديد (فابيان) الذي سيعرضهم للخطر؛ لأنهم يعرفون أشد المعرفة نوايا المستعمر من هذا؛ لأن "الآخر هو قوة عظمى تسعى للسيطرة على العالم، ومن يكتوي بنارها يعتبرها آخر و تعتبره هي آخر بالنسبة لها."[2]

و هذا ما حدث بين (**الآخر**) فابيان و الأهالي (**الأنا**)، حيث كان هذا الآخر حديث الساعة في الدشرة كلها " لا حديث إذن في دشرة سيدي لحسن إلا عن فابيان مر زمن عن مرور الفرنسيين على القرية، صور الخراب و الدمار لا تزال عالقة في ذاكرة من عاشوا تلك الأحداث ، مخاوف تتجدد، غير أنها لا تضعف الإرادة، إرادة الدفاع عن الأرض و العرض."[3]

---

(1) سليم بتقة: جذور و أجنحة، مصدر سابق، ص17.

(2) دلال البزري: الآخر المفارقة الضرورية، مكتبة صيدا، بيروت، [د ط]، [د ت]، ص01.

(3) سليم بتقة: جذور و أجنحة، مصدر سابق، ص17، 18.

فانتشر الخوف عند أهالي القرية، و من بينهم الحاج امحمد عند معرفته بقدوم (الآخر) فابيان؛ لأنه يدرك ما معنى أن يأتي هذا المراقب إلى الدشرة و عند عودته من صلاة الصبح " عاد الحاج امحمد من صلاة الصبح واستلقى على حصيرة في بهو المنزل مقابل النافذة المطلة على الخارج، أفكار كثيرة تدور برأسه. بادرته زوجته بية كالعادة:

- صباح الخير الحاج..
- تربحي يا مخلوقة..

راني نشوف فيك جاي من الجامع محير.. غير الخير؟

- ومنين يجي الخير يا مرا مع عديان الله هاذو؟
- راك تقصد القاوري إلي حط حذانا؟
- لو كان تجيه مصيبة راهم يقلبوا علينا القرية سافلها على عاليها، الجرح القديم مزال مابراش.."[1]
- و هذا الفزع الذي يبدوا على الحاج امحمد (الأنا)، بسبب المستعمر (الآخر) الذي عذب و قتل الجزائريين.

فعاد الحاج امحمد إلى ما فعله المستعمر في الجزائر منذ احتلاله لها " قال هذا الكلام وهو يعود بذاكرته إلى الأيام النحسات كما يسميها.. وتحديدا سنة 1949 بعد زيارة الدوك ديمال duc dumal للمنطقة و تعيين القائد العسكري توماس thomas، منذ ذلك الوقت لم يرى سكان المنطقة خيرا فقد فرضت الضرائب، و انتزعت الأراضي، وهاجر السكان و عذب الأبرياء، ونصبت المقاصل للأحرار المقاومين."[2]

---

[1] سليم بتقة: جذور و أجنحة، مصدر سابق، ص18.

[2] المصدر نفسه، ص19.

و يتضح من هذا أن الأهالي (الأنا) يدركون مخططات وسياسة المستعمر الفرنسي التي تمثلت في الإبادة و استغلال الثروات، وزرع ثقافته في كل جزائري وهذا يعرف بالغزو الثقافي، لكن الأهالي (الأنا) كانوا يعرفون بكيده و مكره " القائمة على العدوان و القتل، و سلب الأرض."[1]

ومما لا ريب فيه أن أفعال و جرائم المستعمر الفرنسي (الآخر)، قد قضت على الأخضر و اليابس في وطننا الحبيب؛ لبسط نفوذه و تمزيق كل من يقف في طريقه" إن هدف هذه الغزوات الاستعمارية التي جاءت لاحتلال أراضيهم، و استعمار أوطانهم و تدمير حضارتهم."[2]

لقد أدرك الشعب الجزائري (الأنا) بأن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة، فكان لابد من المواجهة و التضحية بالنفس و النفيس لذلك وجب من الضروري" التصدي دفاعا عن شرف الاسلام، و كلمة التوحيد وصار الجهاد أمرا محتما، و مطلبا فرضه الله على المسلمين الذين أحسوا غزو ديارهم، و تحطيم مقدساتهم، و تدنيس حضارتهم الزاهية عبر العصور."[3]

و خلاصة القول إن (**الآخر**) المستعمر هو الاستعمار الفرنسي، الذي كرس كل الوسائل؛ لكي يضع كل الجزائريين، و خاصة أهالي دشرة سيدي لحسن الطرهوني تحت سيطرته و التابعين له؛ فبعث (فابيان) هذا الفتى حتى يأتي، بكل ما يحدث في الدشرة هكذا أصبح هذا (الآخر) في نظر أهل الدشرة آخر مستبد، و غازيا، يريد أن يهدم كيانهم

---

(1) سعيد محمد الفيومي: جدلية الأنا و الآخر (في رواية المتشائم انموذجا)، مجلة الجامعة الإسلامية، (سلسلة الدراسات الإنسانية)، قسم اللغة العربية، جامعة القدس المفتوحة- منطقة غزة التعليمية، المجلد التاسع عشر، العدد 1، 2011، ، ص867.

(2) عبدالله عبدالرزاق إبراهيم: المسلمون و الاستعمار الأوربي لإفريقيا، عطا الله للنشر، الكويت، ، [د ط]، 1989، ص09.

(3) المرجع نفسه، ص نفسها.

و أرضهم، لذلك قرر أهل الدشرة (الأنا) أن يعرفوا سبب قدومه إليها، و كان ذلك يتطلب اليقظة و الحذر من هذا (الآخر) المستدمر، الذي جاء ليفرض هيمنته بمراقبتهم (الأنا) الأهالي في البرج، لكن هؤلاء أدركوا" أن موقف رفض الهيمنة و الكشف عن آليات التبعية و تشديد الصراع ضدها، هو الأرضية التي بدونها لن يكون بمقدورنا بناء دفاعات حضارية فعالة."[1]

و يتضح من هذا أن الشعب الجزائري (الأنا) رفض المستعمر الفرنسي (الآخر) منذ حطت أقدامه السوداء أرض الوطن.

2-الآخر المتحضر:

المتحضر هو الذي يسكن المدن و القرى، عكس البدوي، الذي يقطن في البادية.

و قد جاءت هذه اللفظة في مختار الصحاح بمعنى: " (الحَضَر) بِفتح خِلَافُ البَدوَ و الحَاضِرَ ضِدَ البَادِيةَ وهي ٱلمُدَنَ وَٱلقُرَى و ٱلريف، و البَادية ضِدَهَا يُقال: فُلَانٌ مِن أَهلِ الحَاضِرة، و فلان من أهل البَادِية، و فلان بَدوَي، و فلان حَضَرِي، بموضع كذا أي مقيم به."[2]

كما وردت تقريبا بنفس المعنى : " الحضر المدن و القرى و المنازل المسكونة وهي خلاف البداوة، الحضري: ساكن المدن و القرى، عكس البدوي..."[3]

---

(1) عبدالغني عماد: الغرب في منظور المسلمين، مؤتمر كلمة سواء، ينظمه مركز الإمام موسى، المنعقد في قصر الأونيسكو في 2-3 كانون الأول، 2004، بعنوان موقع الحرية في الإصلاح و التجديد، ص111.

(2) زين الدين محمد بن أبي بكر عبدالقادر الرازي: مختار الصحاح ، تح : حمزة فتح الله دار البصائر، بيروت، [دط]، 1987، ص141.

(3) أمل عبدالعزيز محمود: قاموس العربي الشامل، دار الراتب الجامعية، بيروت، ط1، 1997، ص208.

و من هنا من خلال هذين التعريفين، يتضح لنا أن كلمة متحضر بمعنى الذي يقطن في المدن و القرى، أما البدوي فهو يسكن في البادية.

والإنسان المتحضر يقصد به الذي يمتلك ثقافة واسعة، و التحصيل العلمي و المعرفي و الإنساني، و المتحضر يكون ذو أخلاق و تهذيب و أدب وحسن معاملة و سلوك راق، شخص متحضر متعلم، "و يستعمل الأسلوب الحضاري في تخاطبه و تعامله مع الآخرين بالدبلوماسية الهادئة، و صاحب المنطق و العقلانية و التواضع الذي يملك وسيلة الإقناع في حالة اختلاف الرأي، ويؤمن بمبدأ الحوار و يحترم الرأي الآخر."[1]

و بذلك نستشف أن الشخص المتحضر هو الذي يتمتع بكل وسائل التكنولوجيا و التقنيات العلمية، و المتطور في كل شيء وكان تجسد في الرواية، بحيث الآخر (الفرنسي)، متحضر عن (الأنا) الجزائري؛ فهو يمتلك كل الوسائل المتطورة و الصناعات المختلفة، و حتى في اللباس و المأكل و المشرب، عكس (الأنا) الذي يفتقد إلى وسائل التحضر، و هذا الآخر الفرنسي هو الذي جعله يغيب تماما عن عالم التحضر، حتى يبقى تحت سيطرته و تابعا له ولا صلة له بالتحضر.

و الآخر المتحضر في هذه الرواية جذور و أجنحة هو المستعمر الفرنسي و ليست شخصية (فابيان) فقط، و هذا الآخر كان متعلما ومتحضرا " قرأ شيئا عن هيبوليت تان Hippolyte tain فيما يتعلق بنظرية العرق، و عن نداءات فكتور هان

---

[1] محمد خالد: الفروقات بين التعلم و الثقافة و التحضر، مجلة الأمل، المركز الاسلامي وزارة الصحة، الرياض، العدد 40، ص01.

Victor hain، كما قرأ عن تقارير بعض العسكريين فالكولونيل دومينتياك De montagnac و تورني Tournier وهو من رجال الدين الكاثوليك."[1]

أما بالنسبة لأهل الدشرة لم يكونوا متحضرين، فهم لا يمتلكون التقنيات الحديثة مثل الآخر الفرنسي،فهو لديه العربات و القطار و كل وسائل النقل المتطورة" يقتطع تذكرة القطار المتجه نحو الجنوب.. بعد انتظار طويل يصل القطار.. يقفز إلى العربة الأخيرة.. يضع أغراضه أمامه.. ينظر إلى الركاب... ينطلق القطار بسرعة السلحفاة مدويا المكان بصخبه.. عبر النافذة تسبح عينا فابيان بعيدا في الأفق في الأشياء المختلفة عن القطار.. وقف أمام النافذة يرى العمائر و الأشجار.. توقف القطار.. فوضى عارمة تجتاح المحطة..ى الركاب يهجمون و النازلون يتملصون محاولين الخروج من الفتحات المسدودة بتلك الأجساد.. تفرق الركاب على مقاعد العربات.. يتحرك القطار بحوملته.. يتأمل فابيان في أفواههم بقايا شتائم غاضبة تختلط بضحكات انتصار.. ينبض جسده مع نبضات قلبه.. لا تتوانى تلك العيون عن التحديق.. يصرف نظره اتجاه النافذة ولا يجرؤ أن يرمقها. كانت المشاهد تتراجع إلى الخلف، في الوقت الذي كان يصغي لوقع عجلات القطار على السكة الحديدية و ما تتركه من صدى في نفسه..

توقف القطار عند المحطة المقصودة، نزل فابيان محملا بأغراضه. كانت الساعة تشير إلى الظهيرة.. وهج الشمس المسلط، الظلال قليلة وطنين الذباب، كل هذا يسرع في الخضوع لمساومة المنتهزين من سائقي العربات، كانت العربة التي يجرها الحصان مندفعة إلى الأمام انذعرت الدجاجات التي كانت تتسكع في المكان و السائق يلوح بصوته، ثم ينهال ظهر الحصان.. كانت الطريق خالية."[2]

---

[1] سليم بتقة: جذور و أجنحة، مصدر سابق، ص 14، 15.

[2] المصدر نفسه، ص 12.

وعلامات التحضر لدى الآخر (الفرنسي) ليست في القطار وحده، بل حتى في وجود الميناء و السفن، جاء في متن الرواية" من ميناء دانكارك. بعد رحلة قادتهما إلى الجزائر عبر ميناء مرسيليا.[1]

أما إذا تحدثنا عن (الأنا) الجزائري، فهو بخلاف ذلك فلا قطار و لا عربات،بل فقط بعض البهائم مثل الحمار الذي يعتبر وسيلة نقل، وعنزات يتقوتون منهم و من لديه قطعة أرض صغيرة يقوم بحرثها؛ إنها معيشة قاسية، و هذا ما أراد الآخر المستعمر الذي بدوره الذي بدوره يمتلك كل شيء و تسخيرها للمعمرين، لكي يعيشوا حياة تتوفر فيها كل مرافق الحياة، و العالم الغربي هو عالم متطور، بفضل الصناعة و النهضة الأوروبية" نحن الآن في نهاية القرن التاسع عشر، أمام عالم يعج بالتحول، مع حدث اسمه الرأسمالية و الصناعة.

المؤمنون بأحلام تصدير التقدم و التمدن الغربي يتحركون بواسطة الهروب من حاضر بائس، و الذهاب بعيدا إلى تلك النواحي الغير مألوفة، المشروع الاستعماري يتجسد، الأمل المجنون بالمسك على السعادة المنشودة..يساهم في إنتاج المتخيل الجمعي الفرنسي... التأثيرات الرومانسية و الغرائبية بفعل ذلك الديكور الطبيعي تسرع و تيرة الهجرة نحو الـ(هناك) حيث الأجسام النحيفة و الأسماك المرقعة، و الأقدام الحافية إنه الغرب البعيد Far west متاحف من الشموع الآدمية المتحركة أو أقل parc zoologique."[2].

إذن هذا العالم الغربي المتحضر و المتقدم ، حتى في اللباس الجميل الذي يدل على الرفاهية و التطور" توقفت العربة وسط الدشرة..في ديكور غير ثابت من مصطبة

---

(1) سليم بتقة: جذور و أجنحة، مصدر سابق ، ص14، 88.

(2) المصدر نفسه، ص 13.

و كراسي و أعلام زرقاء و حمراء و بيضاء، التف حوله ألأهالي في جو كساه السكون.. وفق الحاكم المدني Forestier بلباسه الأبيض الأنيق قابضا بيد على يد."[1]

و ليس الحاكم وحده فقط من يرتدي هذا الثوب الرائع بل حتى الفرنسيين و المعمرين" الكولون بقبعاتهم الأوربية التي تغطي شعرهم الأشقر و تجاعيد وجوههم."[2]

لقد كان لآخر (المستعمر) متحضرا في كل شيء عكس الأنا (الجزائري)، الذين كانت ثيابهم بالية ينظر محاذرا إلى الركاب.. إلى الأطفال الباعة، إلى رجال نحيلين في ثياب رثة ، لهم عيون الحداءات و مناقيرها، إلى نساء بملاءات لا يبدو منهن شيء، إلى ماسحي الأحذية يضربون بالفرش على صناديقهم."[3]

و هذا ما يريده الآخر (المستعمر) ، جعل الأنا (جزائري)، في حالة مزرية لا يرثى لها، و هذا ما يظهر على أهالي الدشرة مقارنة بالمعمرين، ها هو(فابيان) الآخر المتحضر يعترف بلسانه أنهم متطورون و متحضرون عن (الأنا) الإنسان الجزائري" نملك كل شيء تقريبا؛ المنازل،و الأراضي الخصبة، الثروة الحيوانية، الآلات، الدرك، الكنائس المدن، الأشجار، السيارات، الخيول و العربات، الدراجات، هم لا يملكون شيئا، باستثناء بعض العجول الهزيلة، و الأغنام المريضة."[4]

إذن هذه المعاناة التي عاشها (الأنا) الجزائري من مشاكل و بؤس شديد في حياته بينما الآخر الفرنسي،و إتباعهم من المستوطنين يعيشون في المدينة في عالم متحضر يمرحون ويغنون،و يرقصون، ويذهبون إلى الحدائق للنزهة و الاستجمام من" حسن حظ البغدادي أن رسالة وصلته من مدير حديقة الحيوانات بأمستردام (de levende

---

(1) سليم بتقة: جذور و أجنحة، مصدر سابق، ص97.

(2) المصدر نفسه، ص101.

(3) نفسه، ص10.

(4) نفسه، ص 67.

السيد natura) E. Heimans يطلعه فيها بإرسال الحوالة البريدية مقابل الحيوانات و الزواحف و التي تعود إرسالها إلى الحديقة.أسرع البغدادي بالرسالة إلى الطيب ليقرأها له:

de levende natura

E.HEIMAN.S

Plantagf miidérgrachrt 123,AMSTERDAM."[1]

ومن هنا نخلص إلى أن (الآخر) المتحضر هو المتفوق والمتعلم،و المثقف عكس (الأنا)الجزائر الذي لا تعليم ولا شيء من هذا،و لكن عند عقد المفارقات بين العالم و العربي لتردي الهائم على وجهه فاقد الهوية،و الغرب المتحضر فائق المدنية،و النظام و الحسن،و الترتيب ذلك الغرب المثقف الهادي،و المعلم."[2]

قد يكون هذا ، لكن ما يوجد في الواقع، عكس هذا تماما فالآخر (الغرب) هو معلم ولا هادي و أفعالهم هي التي تحكم عليهم، وخاصة ما فعلته فرنسا (الآخر) في الشعب الجزائر لا يدل على أنها ذات ثقافة و تحضر، بل أن الغرب همجي،و لا يعرف معنى اللا إنسانية،و القيم كل ما يعرفه هو المادة و تقديسها على روح الإنسان، بل عمد إلى " نشر الفوضى و الاضطراب السياسي و كثرة الفتن و الحروب، و الثورات الداخلية الأمر الذي أدى إلى إنهاء قواها."[3]

---

(1) سليم بتقة: جذور و أجنحة، مصدر سابق ، ص 74.

(2) نضال محمد الشمالي: الوعي بالآخر رحلة باريس لفرنسيس التراش نموذجا، مجلة حوليات التراث، جامعة البلقاء، عمان، 2008، ص104.

(3) ممدوح حسين: الحروب الصليبية في شمال إفريقيا و أثرها الحضاري، دار عمار، عمان، ط1، 1998، ص451.

هذا ما يقوم به الآخر المتحضر، بسبب ما يملك كونه متحضرا و متقدما على الأنا فهو يتصرف كما يشاء؛ لأنه يرى نفسه هو صاحب الحضارة و السيادة أما الأنا فهم عبيد لا أكثر.

لقد كان الفرق متجسدا في هذا الخطاب السردي بين الأهالي الذين يقطنون في الدشرة ، بينما الآخر باعتباره متحضرا يعيش في المدن التي تتوفر فيها كل وسائل الراحة و متطلبات الحياة من مكاتب و مطاعم ، فهذا مكتب أحد الجندارم" مكتب رئيس الجندرمة واسع به كرسيان ومدخل يمكن رؤيته بصورة جيدة..على الحائط صورتان أحداهما لرضيع في عربة أطفال من القرن التاسع عشر والثانية لمنظر طبيعي رومنسي من القرن الثامن عشر..يرتدي رئيس الجندرمة ذو الشارب الكبير بزة زرقاء غامقة بها أزرار معدنية لامعة، حذاء عالي."[1]

و بطل الرواية فابيان (الآخر المتحضر) الذي كان يعيش في المدينة " أعادته تلك الزيارة و حديث الجنديين عن المدينة و عن إجازة نهاية الأسبوع إلى مركز التجميع هناك في دانكارك DANKERQUE، حين كان يغازل المارة من الفتيات وفي البارات الليلية..أصوات البقرات و الطيور.. الصناديق الملأى بالأسماك في الميناء."[2]

و خلاصة القول إن الآخر (المتحضر) هو الذي يملك كل شيء، أما الأنا (الجزائري)، لا صلة له بالحضارة و تقنياتها، بل يعيشون في الدشرة، صحيح أنهم شبه معدومين)بسبب الآخر المستعمر الذي يحاول أن يترك الأنا في الظلمات)و حتى لا تلتحق بالحضارة وتهدد كيانه.

---

(1) سليم بتقة: جذور و أجنحة، مصدر سابق، ص79.

(2) المصدر نفسه، ص 65.

و لكن على الرغم ما اقترفه الآخر يظل يتحكم في مصير الإنسانية كلها؛ لأنه له الفضل في الميدان العلمي و التكنولوجي، و حتى في مجالات العلاقات الاجتماعية، إذا الآخر هو عالم القوة و الثورة و في نفس الوقت عالم العلم و العقلانية.

3- الآخر المسالم (المحاور)

الانسان المسالم هو الفرد الصالح الذي يحول كل شيء إلى ما يعود بالمنفعة و الخير للآخرين.

و قد وردت لفظة مسالم في معجم المنجد الوسيط:" مُسَالِمٌ: مُحِبُّ السَّلَامِ، رَاغِبٌ فِي العَيشِ بوفاقٍ مَعَ الآخرين، (شَعْبٌ مُسَالِمٌ)."[1]

و كلمة مسالم تعني غير مؤذ يريد الوصول إلى السلام وعدم الاعتداء على الآخرين وهو الذي يجنح إلى السلم ولا يقوم بأذية الناس، و الآخر المسالم الذي تجسد في هذه الرواية هو شخصية فابيان الذي بعدما رأى جمال الصحراء و سحرها أعجب بهذا الديكور الطبيعي الخلاب" إنها قارة .. شمسها حارة، في الليل هناك هذا الخلاء: بمعنى الاحساس بأن شيء ما يفقد فجأة، و بعنف ! هل هي الحرارة التي ترحل ما أن تختفي الشمس؟ إحساس أو حس؟ أو شعور بالإثبات؟ كما لو أننا نلمس هذا الألق الذي يتهشم مثل رقاق الجليد.

هذه الصحراء.. جمالها بعيد عن كل وصف.. هنا كل شيء يتحرك ببطء.. قوافل الابل لا تعترف بالحرارة.. أجسام نحيفة تجوب الفضاء و كأنها تشكوا الضعف و الهزل.."[2]

---

[1] صبحي حموي: المنجد الوسيط في العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت، ط1، 2003، ص115.

[2] سليم بتقة: جذور و أجنحة، مصدر سابق، ص21.

ويتبين من هذا أن فابيان (**الآخر**) أصبح يحب هذه الصحراء، و جمالها و مناظرها التي تغذي الروح و تنعش الفؤاد، و تسر عين الناظر إليها، و في حين نجد أهل الدشرة (الأنا) يريدون معرفة من هذا القاوري.

- يقول الحاج: " العيد ياوليدي روح مع خوك، أنا راني رايح نشوف حكاية هذا القاوري مع الجماعة. كل الناس هنا في الدشرة نسوق الجمعة حتى أولاد عبدالقادر بن سالم في الطرف الآخر منها يتساءلون عن هذا الوافد الجديد."[1]

فقررت الجماعة ارسال شخص لمعرفة ماذا جاء يفعل هذا (الآخر) فابيان، وما هي نواياه من مراقبة أهالي الدشرة (الأنا)، " اجتمع شيوخ الدشرة في دار الحاج امحمد يتدارسون أمر فابيان، و هناك أمور أخرى مدرجة في هذا الاجتماع لا تقل أهمية عن القضية الأم...

- هانا عرفنا وحدة منها.. القاوري اللي في البراكة..
- راني نشوف فيه نحس أعوذ بالله..
- هذا سبب باش نعرفوا علا ش جا لقريتنا دون لخرين..
- الفرنسيس راجعين للدشرة ياجماعة راني نقولهالكم ونعاود و راكم توقفوا عليها..."[2]

و بعد كل هذه المشاورة اتخذت الجماعة قرار على إرسال الطيب لتقصي أمر هذا القاوري" اتفقت الجماعة قبل الخروج من دار الحاج امحمد على إرسال الطيب بن نونة إلى البرج لمعرفة نية الحاكم العسكري من إرساله مراقبا على الدشرة، وكان الطيب قد تعلم الفرنسية بحكم دراسته بإحدى المدارس الفرنسية بالمدينة، و عمل فترة مرشدا سياحيا بأحد

---

(1) سليم بتقة: جذور وأجنحة، مصدر سابق، ص 23،24.

(2) المصدر نفسه، ص28،29.

الفنادق المشهورة بالمدينة غير؛ أنه عاد إلى الدشرة للعمل بأرض والده بعد وفاته."[1]

و يمكن القول إن الجماعة أحسنت في اختيارها إرسال الطيب الذي يتقن لغة (الآخر)، لأن كما يقال من تعلم لغة قوم آمن شرهم.

لقد أدرك أهالي الدشرة (الأنا)؛ أنه لمعرفة سبب إحضار العدو الفرنسي هذا المراقب (فابيان)، فقرر الأهالي اللجوء إلى التواصل مع (الآخر)، ليكشفوا نوايا العدو الفرنسي من هذا كله، " إذ الحياة بكل متطلباتها تفرض على الإنسان، و الشعوب عملية التواصل فيما بينها، وهو التواصل الذي لا يتم إلا بالحوار، فالحوار الموضوعي مع الآخر و الآخر قد يكون موافقا أو مباينا و مغايرا في العرق و الانتماء، و الجنس، و الثقافة و الرأي و الموقف.. ربما ت صل المغايرة إلى درجة العداء و الصراع... فالحوار هو مراجعة الكلام في شأن ما؛ أو رأي ما لتعزيزه أو تصويبه أو تطويره و الوصول فيه إلى التماثل أو التجانس أو التفاهم أو التكامل... فهو رسالة ذات مضمون وطني و قومي و إنساني؛ رسالة مشتركة لتلقي المكونات الثقافية و الحضارية."[2]

و مبدأ الحوار مع (الآخر) هو الذي اتبعه الأهالي (الأنا) للتواصل مع هذا الآخر فابيان، فقاموا بإرسال الطيب " توجه الطيب تلقاء البرج حاملا معه طبقا به رطل (المنقر) و لبن الماعز.. كان فابيان يراقب صعوده من أمام البرج حاملا بندقيته.. لم يجرؤ أحد منذ أن عرفوا بوصوله من الاقتراب من البرج بتوصية من الحاج امحمد

- Salam alikom
- Arrête, pas un pas de plus!

---

[1] سليم بتقة: جذور وأجنحة، مصدر سابق، ص29.

[2] حسين جمعة: ثقافة الحوار مع الآخر، مجلة دمشق، جامعة دمشق، المجلد24، العدد 3و4، 2008، ص11.

- Je viens au nom des villageois, vous apporter ceci ,comme preuve de bon voisinage, répondait il
- Et'c'est quoi ca?

- وضع فابيان بندقيته جانبا و تقدم من الطيب الذي ناوله التمر و اللبن

- Eh bien merci c'est gentil![1]"

و نستشف من هذا أن الحوار هو تقنية من تقنيات التواصل و الإقناع؛ لأن "الوعي و الحوار يعني الأخذ و العطاء، تمثل الحوار في فكرة الاستيعاب الحضاري حجر الزاوية، فالاستيعاب يعني التفاعل و حوار الثقافات، و الحضارات بل و الأديان أيضا".[2]

و هذا ما حدث بين الطيب (**الأنا**) عند زيارته (**الآخر**) فابيان لم تشكل هذه الزيارة لفابيان أي خوف أو رفض (للأنا) الذي جاء و معه اللبن و التمر؛ لأنه عندما تحاور الطيب مع فابيان (الآخر) لم يشعر هذا الأخير بأية مكيدة أو نوايا خبيثة يكنها (الأنا) الطيب" لم يشكل هذا اللقاء لفابيان أي شيء ، و لم يأخذ به الخوف، و لم يحفه الرعب مثلما كان يسمع، و إنما بدا حائرا من هذا السخاء العربي و تملكه إحساس بالطمأنينة للطيب، لذا حول نظراته ناحيته مقدرا هذا الصنيع و أحس بالخجل."[3]

و بذلك نقول إن استقبال فابيان (**الآخر**) للطيب (**الأنا**) كان دليل على أن فابيان شخصية مسالمة، تتحلى بالأخلاق الحسنة؛ و بهذا ندرك أن الأمم قد تشترك في الأخلاق

---

(1) سليم بتقة: جذور و أجنحة، مصدر سابق، ص29، 30.

(2) مدني زيقم: الإستيعاب الآخر في الرواية العربية وحدوده و آلياته (رواية عمر يظهر في القدس لنجيب الكيلاني)، دراسات و أبحاث، 2009، ص05.

(3) سليم بتقة: مضدر سابق، ص30.

الحسنة و حتى و إن كان بينها العداء" تكاد تكون القيم الأخلاقية في نظر الأمم المتحضرة جميعا، فتكاد كلها تجمع على حد الشجاعة و العدل و ضبط النفس و الصدق و فضائل و رذائل، فهذه أمور لا يختلف فيها الشرق (الأنا) و الغرب (الآخر)." [1]

و هذا ما وجدناه عند فابيان (**الآخر**) من خلال معاملته للطيب (**الأنا**)،" و نحن نعتقد أن الحوار المثمر بين الشعوب الذي يؤدي إلى إزالة سوء الفهم هو الكفيل بمنع المغامرات الإجرامية التي لا تقيم للإنسان وزنا."[2]

لقد كانت معاملة أهالي الدشرة (الأنا) (للآخر) فابيان حسنة، إضافة إلى الجود و الكرم الذي قدموه لفابيان (الآخر)؛ جعل منه يعيد نظرته عن العرب وهذا ما جعل منه شخص مسالم وهذه الخصال و التصرفات التي قام بها الأهالي (الأنا) نحو فابيان (الآخر) نابعة من تمسك (الأنا) بدينها الإسلامي الذي يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر لأن الدين معاملة حتى مع العدو" إن علاقات الذات بالآخر في تقدير الإسلام مبدأها و غايتها تحقيق الحق و الحقوق و إحلال الإسلام، ومراعاة حقوق التعامل، بذلك كان السلم هو الحالة الأصلية التي تهيئ للتعارف الهادئ و التعاون و إشاعة الخير بين الناس على مختلف الشعوب و القبائل ، مفطرة على التعارف تؤدي إلى التعاون بين الأطراف المتعارفة، و قد شرع الإسلام، التعاون على البر و التقوى ونهى عن الإثم و العدوان، كونهما جماع الشرور و الأضرار التي تفضي إلى الحروب و النزاعات و تؤجج نيران الصراع المدمر لمشروع السلام و السعادة البشرية."[3]

---

(1) أحمد أمين: الشرق و الغرب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،[د ط]، 1955، ص138.

(2) غسان السيد: صورة الغرب في الأدب العربي، رواية(فياض) لخيري الذهبي أنموذجا، مجلة جامعة دمشق، مجلد24- العدد 3+4، 2008، ص105.

(3) إسماعيل لطفي جافاكيا: ماذا نريد من الآخر؟، مركز خدمة المجتمع، الكلية الإسلامية، جالا، تايلندا، ط1، 2004، ص04.

فأصبح فابيان (الآخر) و الأهالي و خصوصا الطيب (الأنا) صديقان بعدما كان عدوان" إن حوار المسلم مع الآخر ينبغي أن يضبط ضمن إطار فحينما يخوض المسلم حواره مع الآخرين عليه أن يستحضر هذا الإطار التعارفي التكريمي للناس جميعا، وعليه كذلك أن يكون واعيا، لكي يتجنب منطق الصراع و التصادم الذي ينبغي الآخر و يعمل عن قطره و إلغائه تماما."[1]

و هذا ما حدث بين فابيان (الآخر) و أهالي الدشرة (الأنا)، و بدأ الطرفان يتألفان و يتجاذبان نحو بعضهما البعض، فبدؤا بزيارة بعضهم" تكررت زيارات الطيب لفابيان و في كل مرة كان يأخذ معه بعضا من الطعام تعده له زوجته. لم يكن فابيان يكتفي بالتطلع إليه من مساحة البرج الخارجية، بل كان يصعد إلى السطح يرقب مجيئه و يستعجله.

و حينما يصل يبدو في حالة نفسية جيدة إذ يبدأ بالتحدث إليه عن كل شيء. كان الطيب يكتفي في بعض الأحيان بالجلوس بجانبه يستمع إليه ولا يشاركه الحديث إلا قليلا. لقد وجد فابيان في شخص الطيب المؤنس الذي يملأ عليه وحدته، و الصديق الذي يذهب عليه وحشته." كان وهو يحدثه عن نفسه و عن الحرب يحس بلذة المصارحة حدثه عنه إصابته في تلك المعركة عن جمال الصحراء، عن سبب اختياره المجيء إلى هذا المكان و إصراره على السفر إليه. بدوره كان الطيب يحدثه عن الدشرة، عن أهلها، عن الكولون، وعن الفلاحين البؤساء..."[2]

---

(1) عبد العزيز برغوت: مفهوم التعارف و التدافع وموقعهما في الحوار من المنظور الإسلامي، مجلة عالمية، تصدر عن المعهد العالمي للفكر الإسلامي، العدد 23، 2011، ص103.

(2) سليم بتقة: جذور و أجنحة، مصدر سابق، ص30،31.

و يمكن القول إن عملية التفاهم بين الأهالي و فابيان "كانت عن طريق التفاعل و التكيف مع ثقافات الآخرين المغايرة إراديا ، إما بكيفية الواعية و المقصودة، و إما بكيفية لا شعورية تقبلية."[1]

و بذلك يمكن القول إن هذا ما جرى بين الآخر المسالم (فابيان) و أهالي دشرة سيدي لحسن الطرهوني هو الثقافة الحوارية التي تتم بالتقاء الثقافات التقاء نقيا في حوار يتعايش فيه الأنا و الآخر بشيء من التقبل و الترحيب بالرأي المختلف في جو مفعم بالتسامح الإنساني، وهذا الأخير هو الذي أوصانا به ديننا الحنيف؛ لأنه يجب على لأمة الإسلامية أن تكون" الأمة الإسلامية ذات طابع عالمي جامع، تأهلها هويتها ان تكون قطبا ناظما جامعا للبشرية كلها عبر الزمان و المكان، ومن أهم سماتها مع ذاتها و الآخر أنها امة قريبة مكن الفطرة و السمحة و أنها مفتوحة و حق؛ أي إنسان أن يكون عضو فيها و ترفض تمركز على العرق، وذات رسالة تحقق إرادة الله في الأرض إرادة حرة."[2]

و بفضل طيبة الأهالي وما رواه الطيب لفابيان عن هذه الصحراء و أهلها، أصبح فابيان مشتاقا لمعرفة المزيد عن هذا البلد الذي وجد فيه راحة البال و الهدوء و السكينة وقد" حاول فابيان في كل مرة يحدثه فيها الطيب عن الحياة الصحراوية عن العادات و التقاليد أن يتصور هذا المجهول الذي يتحدث عنه أن يتخيله، لكن عبثا. مع مرور الأيام كان أكثر تشوقا لاكتشاف هذا العالم المجهول الذي بات معين قوة، و مصدر تلاقي مع حضارات أخرى، تختلف تماما عن الحضارة الغربية التي عرفها. أحس

---

[1] ينظر: عبد الرزاق داوي: في الخطاب عن الثقافة و الهوية الثقافية، مجلة أنيس، العدد2، مؤسسة الأخبار للصحافة، الجزائر، 2007، ص12.

[2] عبد الله الطحاوي: قراءة في كتاب (الأنا و الآخر) من منظور قرآني، نشر في موقع (إسلام أونلاين)، 2009/04/05، ص03.

بأصوات لذيذة تدفعه إلى الاستجابة لنداءات المشاعر الإنسانية هذه المرة لا العسكرية التي رسمت في ذهنه صورة جميلة لعالم قبل أن يراه."[1]

و بهذا أصبح فابيان (الآخر المسالم)، يحب هذه الدشرة و أهاليها (الأنا) ، بدأ يشعر، بأنه ليس غريبا بينهم، بل إنه واحد منهم، و أن منطقة الصحراء مكان جميل و ليس كما سمع عنها؛ أنها قاحلة و يسودها الجفاف و الرمال التي تغطي كل شيء وارتفاع درجة الحرارة، "أكتب من الصحراء.. أعيش الآن فيها بحكم عملي.. الصحراء ليست طبيعة مرهقة و وحشية.. عراك دائم مع طبيعتها القاسية.. لم يمض على وجودي هنا الكثير.. لم أكن سعيدا من قبل.. و لكني أصبحت أشعر أن وجودي يجلي لي القيمة.. وجدت مؤنسا أبثه كلما أحس..أصبحنا أصدقاء.."[2]

فكان فابيان (الآخر المسالم) يدون كل ما يدور في باله من أفكار و مشاعر يحس بها اتجاه أهالي دشرة سيدي لحسن الطرهوني (الأنا)؛ لأنه وجد فيه الطيبة و الصدر الرحب؛ وبعد إلحاح الطيب (الأنا) علم فابيان (الآخر المسالم) أن يأتي لزيارة الدشرة و التعرف و التقرب من أهلها البسطاء و المتواضعين" قبل أخيرا فابيان دعوة الطيب لزيارة الدشرة و التعرف على أهلها عن قرب بعد تردد، بدعوى أنه لا يستطيع أن يترك البرج دون حراسة. لقد صادف تواجده التحضير لوعدة سيدي لحسن الطرهوني.

Sois le bienvenue fabien, tu es chez toi, entre et repose toi, je reviens dans un instant.

ما إن تخطى الطيب عتبة الغرفة، حتى كانت نفس فابيان تتقطع وهو يدور بعينه أنحاء الغرفة إنها تحفة.. كانت غرفة الضيوف مفروشة بأنواع الزرابي وقد طرزت بصليب

---

[1] سليم بتقة: جذور و أجنحة، مصدر سابق، ص31.

[2] المصدر نفسه ، ص32.

الجنوب La crois du sud وسائد من الصوف تزين المكان، أواني من نحاس تلمع تزين الحائط ، مائدة منم الخشب منقوشة تذكر بالأزمنة البعيدة، رائحة العنبر تطبق على المكان، صورة ذات إطار... لقد ترك هذا الديكور الغرائبي فابيان لتأملاته العميقة أول اكتشاف لمنزل عربي.[1]

لقد اندهش فابيان (الآخر)، بهذا المنزل الجميل البسيط الذي يبدوا مثل الطبيعة في فصل الربيع؛ بألوانه الزاهية وهذا منزل الحاج امحمد يعد أول اكتشاف لفابيان (الآخر) لمنازل أهالي الدشرة (الأنا) الذي لم يتخيل فابيان أن لهؤلاء منازل مثل هذا المنزل الرائع، على الرغم من معيشة الأهالي (الأنا)، لكن ضيافة الحاج امحمد و الطيب لفابيان (الآخر) نابعة من الإنسانية التي كان مبدأها عند العرب اتجاه الآخر الغربي الحوار و التصالح و التعايش السلمي" رأى العرب و المسلمون أن الحوار أكثر نفعا عندما تعدل موازنات القوة بين الأطراف المتصارعة نحو التفاهم و التواصل، وتبني حوار الحضارات."[2]

إذا يمكن القول إن الحوار هو أفضل وسيلة اتبعها فابيان (الآخر المسالم) و أهالي الدشرة (الأنا)" دخل الطيب رفقة الحاج امحمد على فابيان:

- عمي هذا هو القاوري مول الكاريطا !
- مرحبه.. قرب مرحبه.
- .. Salam, tout l'honneur et pour moi
- ...??

---

(1) سليم بتقة: جذور و أجنحة، مصدر سابق، ص32، 33.

(2) عبد الله أبو هيف: صورة الآخر و الحوار بين الحضارات في الرواية العربية، مجلة جامعة دمشق، المجلد 24، العدد 3 و4، 2008، ص109.

- استدار فابيان إلى الطيب مبديا إعجابه بهذا الديكور الجميل ومن هيئة الحاج امحمد..
- IL est beau dans son habillement saharien, il est trame de dignité et de noblesse.

لم يشأ الحاج استدراج الضيف في الحديث عن نية الحاكم العسكري و الإدارة الفرنسية من هذه التحركات، و اقتصر على مساءلة الضيف عن رأيه في المنطقة، وعن احتياجاته.. كان فابيان يجيب مترجمه باحتشام..."[1]

و إعجاب فابيان (الآخر المسالم)، بالأهالي (الأنا)، وطريقة عيشهم هو دليل على؛ أنه تأثر بهذا الجو المليء بالحنان و الدافئ، و السخاء العربي" دخل العيد محملا بقصعة كبيرة وضعها على المائدة بعد أن سلم على الضيف..ربت الطيب على كتفه:

Fabien, tu vas goutter avec nous le chef d'ouvre de l'art culinaire saharien, du chakhchoukha ou mouton ,c'est lambroisre des habitants de la région allez bismillh.

اتخذ فابيان جلسة القرفصاء واضعا حوله ثلاث وسائد..ملعقة يملأها و ينفخ فيها زمن قبل أن يتناولها بسخونتها.. ملعقتان.. ثلاث ملاعق.. قطعة لحم، ثم رفع رأسه متوجها بحديثه إلى الحاج:

El haj,vos plats sont sueculents, une saveur jamais gouutté auparavant..

ضحك الحاج من وصف فابيان وراح يسهل له سر الطبق العربي الذيذ:

---

[1] سليم بتقة: جذور و أجنحة، مصدر سابق، ص33، 34.

- كاين ياسر حوايج يعرفوها النساء نتاوعنا تخلي ديما ماكلتنا بهذي البنة، اللحم لحلال، الدوا العربي، ، و اليدين اللي طيبو يكملوا الباقي.. بعد الانتهاء من الغداء، دعا الحاج الشاي .. دخل العيد بالشاي المعطر برائحة النعناع، لم يتمالك فابيان وهو يرتشف الكأس تلو الأخر.. أكيد أنه يتذوقه لأول مرة.. جلسة الشاي تلك أفاض فيها فابيان بما كان الحاج يريد معرفته و لم يفطن لمرور الوقت

- Vous méscusez, il fait tard,et je dois rentrer

قبل مغادرته الدشرة أصر الحاج على فابيان حضور وعدة سيدي لحسن بعد غد..في الطريق شرح الطيب له هذا التقليد:

- C'est une contune de nos aieux et c'est sacré, la tradition veut qu a locasion du zerda on prive dieu pour chasser le mal qui enveloppe notre vie.[1]"

و يمكن القول ان الطريقة التي اتبعها و سار عليها الأهالي (الأنا)، هي التي جعلت هذا الآخر (فابيان) إلى مسالم" و الحوار الذي يستدعي الآخر سواء كان مشابها لنا أو مختلفا عنا."[2]

وهذا ما جعل فابيان (الآخر) يدرك أن ما سمعه عن العرب و الإسلام، هو مجرد هراء و كذب، بل عرف؛ بأنهم أناس صادقون لا يحملون أي صفة من الصفات التي ألصقت بهم"لا شيء مما ذكر له صحيح.. إنهم لطفاء.. كرماء.. معاشرون.. إنهم ليسوا

---

[1] سليم بتقة: جذور و أجنحة، مصدر سابق، ص 34، 35، 36.

[2] محمد نورالدين أفاية: المتخيل و التواصل مفارقات العرب و الغرب، دار المنتخب العربي، بيروت، ط1، 1993، ص08.

- كاين ياسر حوايج يعرفوها النساء نتاوعنا تخلي ديما ماكلتنا بهذي البنة، اللحم لحلال، الدوا العربي، ، و اليدين اللي طيبو يكملوا الباقي.. بعد الانتهاء من الغداء، دعا الحاج الشاي .. دخل العيد بالشاي المعطر برائحة النعناع، لم يتمالك فابيان وهو يرتشف الكأس تلو الأخر.. أكيد أنه يتذوقه لأول مرة.. جلسة الشاي تلك أفاض فيها فابيان بما كان الحاج يريد معرفته و لم يفطن لمرور الوقت

- Vous méscusez, il fait tard,et je dois rentrer

قبل مغادرته الدشرة أصر الحاج على فابيان حضور وعدة سيدي لحسن بعد غد..في الطريق شرح الطيب له هذا التقليد:

- C'est une contune de nos aieux et c'est sacré, la tradition veut qu a locasion du zerda on prive dieu pour chasser le mal qui enveloppe notre vie.[1]"

و يمكن القول ان الطريقة التي اتبعها و سار عليها الأهالي (الأنا)، هي التي جعلت هذا الآخر (فابيان) إلى مسالم" و الحوار الذي يستدعي الآخر سواء كان مشابها لنا أو مختلفا عنا."[2]

وهذا ما جعل فابيان (الآخر) يدرك أن ما سمعه عن العرب و الإسلام، هو مجرد هراء و كذب، بل عرف؛ بأنهم أناس صادقون لا يحملون أي صفة من الصفات التي ألصقت بهم"لا شيء مما ذكر له صحيح.. إنهم لطفاء.. كرماء.. معاشرون.. إنهم ليسوا

---

(1) سليم بتقة: جذور و أجنحة، مصدر سابق، ص 34، 35، 36.

(2) محمد نورالدين أفاية: المتخيل و التواصل مفارقات العرب و الغرب، دار المنتخب العربي، بيروت، ط1، 1993، ص08.

bicot,raton,bougnoule، بل أناس مثل بقية الناس الآخرين. لهم أسماء و ألقاب (الطيب، العيد، الحاج، عيسى...) إنتماء، و أنساب. لديهم أسر تعمل تقريبا كجميع العائلات الأخرى، إنهم يحبون، يكرهون، يغارون، يغنون، يفقرون..."[1]

و خلاصة القول إن بطل الرواية فابيان (الآخر)، قد جاء في البداية آخر مستعمر، لكن حسن المعاملة يحول الفرد أحيانا إلى مسالم مع (الأنا)، و هذا ما حصل ما فابيان (الآخر)، و أهالي الدشرة (الأنا).

4-الأنا (التماهي):

لقد انتشرت هذه اللفظة في الآونة الأخيرة في بعض المجالات منها: النقد الأدبي و علم النفس و السياسة.

و قد وردت في تاج العروس المتماهي بمعنى: " من مادة (م.و.ه) من المجاز: أَمَاهُ الشَيءَ خَلَط."[2]

بمعنى الشيء بالشيء: خلطه.

وفي المقدمة لابن خلدون تعني " أن المغلوب مولع أبدا بالاقتداء بالغالب، في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله و عوائده و السبب في ذلك أن النفس أبدا تعتقد الكمال في من غلبها."[3]

---

(1) سليم بتقة: جذور و أجنحة، مصدر سابق، ص34.

(2) الامام محب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسني: تاج العروس، دار الفكر، المجلد الثالث عشر، تح: علي شيري، بيروت، [د ط]، 1994، ص98.

(3) ابن خلدون: المقدمة، اعتناء ودراسة أحمد الزغيبي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، [د ط]، 2009، ص196.

و نجد في مجال النقد، يستعمل هذا اللفظ التماهي، قد يكون بين المؤلف و شخصيات أعماله و التماهي بين الراوي و البطل و شخصيات العمل الأدبي.

و مصطلح التماهي يعني المحاكاة اللاشعورية، أو تقمص للنموذج ، و هو التوحد و التماهي مع ثقافة الآخر (الغربي)، قد يؤدي إلى حد الوصول إلى التبعية.

أما التماهي المتسلط، وهو من الأساليب الدفاعية للإنسان المقهور أو الفئة المقهورة المحرومة التي تشعر بالنقص و يعرفه مصطفى حجازي" بأنه استلاب الإنسان المقهور من عالمه كي يذوب في عالم المتسلط؛ أملا في الخلاص." [1]

و هذا التماهي المتسلط نجده في الرواية يتجسد في شخصية القايد (الأنا)، الذي يتحول إلى الآخر طمعا و جبنا و خوفا من الآخر المستعمر؛ فيصبح (الأنا) الذي يذوب في عوالم الآخر بالنسبة (للأنا)، وما حدث للقائد الذي صار آخر بالنسبة لأهالي الدشرة (الأنا)؛ لأنه صار تابعا للآخر و يتعامل مع المستعمر ضد أهله ووطنه، وهذه تعد خيانة للأرض و الوطن" فجأة يلاحظون القائد و اثنين من معاونيه على أحصنتهم قادمين..

- هاو القائد جاي يادرا واش من شر جابو معاه؟
- هذا القواد لو مكانش الجدارمية معاه كنت قتلتوا بكري..
- يقولوا بلي عندو ساحة في دارو يجلد فيها كل من يخالفو..
- يقولو بلي سي الحاكم و الكوماندا يحبوا عرضاتوا و يتفرجو على هذوك المساكين يجلدوا فيهم و يعجبهم الحال و يبقاو يضحكوا، ومن بعد يديرلهم

---

[1] مصطفى حجازي: التخلف الاجتماعي مدخل إل سيكولوجية الانسان المقهور، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط09، 2005، ص124.

العشا.. واش من خرفان مشوية ، بربوشة وديفان وشيخات."[1]

وأصبح هذا القايد الذي هو عبدا للآخر المستعمر منبوذا من طرف الأهالي (الأنا) يقول أحد الشخصيات في الرواية، " ولد حرام خدام سيادوا راه يجي نهاروا غير متخافش!!"[2]

و بسبب أمثال هؤلاء مثل القايد الذين يبيعون أبناء وطنهم و يخدمون المستعمر هنا تصبح "الذات العربية متماهية تماما مع قناعتها المتمركزة على ذاتية متفوقة مستعلية بنرجسيتها الفارغة لاخالية من القدرة على تسيد ذاتها و إرغام الآخر على الاعتراف بها و أصبح الضعف السمة الغالبة عليها، و منه دخل الغرب إلى جسد الأمة يمزقها تمزيقا مخيفا."[3]

فأصبح القايد مترجم و متحدث باسكم العدو (**الآخر**)" يتوقف حصان القايد عند المقهى التي تتوسط السوق، يتجمع الناس، يلتفت يمينا و يسارا، يدقق النظر في الجميع بعينين يتطاير منهما الشرر، ثم يتوجه إلى المكان الذي يجلس فيه الحاج امحمد بالكلام: البارح جماعة من عندكم قطعوا الخيوط انتاع التيليفون ، و القانون الجديد يقول المسؤولية تتحملها الدشرة كلها، و هكذا باش المرة الجاية تعسوا بعضاكم ومتخلوش المجرمين يعاودوا من جديد."[4]

وهذا يعد ادعاء من طرف القايد على أهالي الدشرة الذي في نظرهم آخر؛ لأنه يدعم الآخر المستعمر من أجل قهرهم و عذابهم فأصبحوا يستهزئون به.

---

(1) سليم بتقة: جذور و أجنحة، مصدر سابق، ص 61.

(2) المصدر نفسه، ص نفسها.

(3) محمد صابر عبيد و سوسن البياتي :جماليات التشكيل الروائي، مرجع سابق، ص98، 99.

(4) سليم بتقة: جذور و أجنحة، مصدر سابق، ص61.

- " آ سي القايد بالاك الريح القاوي هو اللي قطعها!!!
- سيدي الحاكم يقول أنتوما اللي قطعتوها يعني نتوما...
- فهمني يرحم والديك آسي القايد هذا الحاكم دابو من دابنا ولا كيفاش، كل حاجة تصرا يوحلوها فيها، واش غير حنا في هذه المنطقة.

و يتواصل الحوار بين القايد (الآخر)و الأنا (الأهالي)

- ماعندي ما نفهمك، أسيدي الحاكم قال تخلصوا البروسي يعني تخلصوه"[1]

و بقي القايد ضد الخائن اللعين ظلمه و كذبه على الأهالي من أجل رضا سيده عنه، ولكن عندما يصبح الأنا آخر فإنه يهدم كيان الذات و يسبب خطرا عليها لذلك وجب التخلص منه لحماين نفسها، ومن القايد الذي كان (الأنا) صار (الآخر) لخدمة العدو من أجل مصالحه الشخصية يغدر (الأنا) الجزا ئري.

تأتي شخصية بطل الرواية الآخر فابيان الذي أدرك حقيقة الأنا (الأهالي) و عكس ما سمعه عليهم وعن العرب كلهم لأنهم " بدون استثناء همج.. برابرة.. قتلة.. مخادعون..."[2]

لكن ما رآه فابيان من طيبة و حسن معاملة من الأهالي (الأنا) وعاش في وسطهم عرف أن ما كان يقال عنهم هو كذب فقط من طرف فرنسا (الآخر) لكي تجد مبررات لاحتلالها أرض الأنا (الجزائر)" هؤلاء الأهالي يمثلون تهديدا على المدى القريب و البعيد

---

(1) سليم بتقة: جذور و أجنحة، مصدر سابق ، ص61، 62.

(2) المصدر نفسه، ص11.

نوع من سحابة عاصفة في الأفق يمكن أن تنهمر فجأة علينا و إننا هنا لأن حكومتكم أهانت فرنسا: حادثة المروحة وانتقمنا لشرفنا..."[1]

هذا ما قرأه فابيان في الجريدة عن الأهالي، و لكنه أدرك أن هذا مجرد افتراء من عند الآخر المستعمر" يدرك فابيان أن هذه الصورة عن الأهالي غير صحيحة، تتعارض مع المهنية، كتابات تقفز فوق الواقع ، هو يدرك أنها جوق يحاول ابراز القيم المصطنعة و الرخيصة في المستعمرة، القائمة على الكبرياء و احتقار الأهالي. دفع الجريدة عنه وتراخى فوق سريره."[2]

لقد كان فابيان (الأنا) يشعر بالخجل يتأسف كان فابيان يرى مشاهد الاذلال و الإهانة التي تطال الأهالي فيحس باحتراق رأسه يود لو ينفجر، لكن ذلك الانفجار يحمده الخجل و الأسف."[3]

و فابيان الذي وقع في حب الضاوية هذه الفتاة التي كانت من بلاده فتاة فرنسية أواها الحاج امحمد بعد أن ماتا والداها فصارت من (الآخر) إلى (الأنا) مثله تماما: أي فابيان، و التقت الضاوية وفابيان في المقبرة عندما ساعد فابيان سعدية التي سقطت أرضا" حمل فابيان معدات الاسعاف و أسرع إلى المقبرة.. تقدم منهن و راح يشمم المرأة المغشي عليها زجاجة صغيرة، استعادت إثرها وعيها أمام مرأى من الضاوية و أمها."[4]

---

[1] سليم بتقة: جذور و أجنحة، مصدر سابق ، ص66.

[2] المصدر نفسه، ص67.

[3] نفسه، ص80.

[4] نفسه ، ص50.

فصار فابيان يرى صورة الضاوية حتى في نومه " صورة الضاوية يتأمل عينيها الخضراوين و يديها البيضاوين. لم تكن بشرتها تشبه المرأتين الأخريتين..الأيام تجر نفسها، تمضي وتدور.. بالنسبة للضاوية نفس الحلم يتكرر ."[1]

لقد أصبح فابيان يرى نفسه واحدا من الأهالي (الأنا)" الحلم القديم لم يعد يعني له شيئا رغم الحياة و رتباتها و قساوتها.. المعنى الآن في حال الأهالي التعساء يحس بهم القريبين منه.. لقد أصبحوا دفقا لحياته و بديلا لعالم تلاشى اعتقد في وقت ما أنه سيخلصه من التيهان الذي أصابه بعدما فارق والديه.. ذلك التيهان الذي أورثه حياة بلا معنى."[2]

و قد أصيب الطيب بالحيرة و الدهشة عندما سمع من فابيان في رغبته في البقاء مع الأهالي" إن فابيان أصبح يتنفس عبر ايقاع واحد مع أنفاس أهل القرية."[3]

بدأ فابيان يفكر في اعتناق الإسلام ديننا الحنيف، وهذا من خلال أهل الدشرة "يراهم يمشون إلى الجامع في ثياب نظيفة غير ثياب العمل اليومية، جباههم نيرة، وفي أيديهم المسابح يلقون السلام على بعضهم البعض؟ أناس تتقاسمهم هموم الفقر و المرض و البطالة التي غالبا ما تجعل حياتهم مهددة أو قاب قوسين أو أدنى من الانسحاق الكلي أو الضياع، ومع ذلك فهم يشكلون كلا متكاملا، و أحكامهم على بعضهم جاهزة منذ الأجيال، لا يواجهون بعضهم بأحكام، و لكن كل واحد منهم يعلم في قرارة نفسه رأيه في

---

(1) سليم بتقة: جذور و أجنحة، مصدر سابق ، ص53.

(2) المصدر نفسه، ص81.

(3) نفسه، ص نفسها.

الآخرين ذلك هو أدبهم، يتقابلون يوميا، ويحبون بعضهم بعضا و يتعاونون و يتآزرون."[1]

و أخيرا اعترف فابيان للطيب بأنه سوف يعتنق الإسلام" لقد أسر له فابيان أخيرا برغبته في اعتناق الإسلام.. بشرط أن يبقى ذلك سرا خوفا من أن يصل خبره إلى السلطات الفرنسية، خصوصا و أن عيونها في كل مكان. لم يستطع الطيب الصبر، رجع أدراجه ملحا على فابيان التوجه سويا نحو منزل الحاج امحمد لأن الأمر لا يقبل الانتظار.. ولابد أن ينطق بالشهادتين كدليل صحة..يرسل الحاج في أثر سي عبدالحفيظ و بعض من رجالها ممن يثق فيهم فيأتون مهرولين ممن يثق فيهم فيأتون مهرولين رغم تأخر الوقت.. الخبر السعيد أنساهم القايد و أعو انه.. بعد أن شرح له مبادئ الدين الإسلامي استنطقه الطالب في الشهادتين في جو من التهليل و التكبير و الأحضان له قدرا كبيرا من الحب و الاحترام، على أن يضل الأمر سرا بين جميع من حضر"[2]

و هذا هو التماهي مع الأنا فالآن صار فابيان حقا ينتمي إلى الأهالي و أصبح واحدا منهم بعد اعتناقه الإسلام وثم قام بطلب يد ضاوية من الحاج امحمد فابيان.. ليبس من مقدور الحاج ا، يرفضه و قد أصبح واحدا منهم الآن.. الحاج مبدئيا غير معترض على طلب فابيان.. الكلمة كلمته و الفتاة لا تخرج عن طاعة والدها.. هو يدرك بفراسته ومن كثرة الأسئلة الضاوية عن فابيان منذ لقاء المقبرة، أن الفتاة تكن حبا خفيا له.. غير أنه بأن الظرف غير مواتي في ظل ما ينتظر الدشرة من قابل الأيام..ثم ماذا يقول الناس و هم لا يعلمون إسلام فابيان؟ زوج إبنته لقاوري!! [3] لكن بعد تفكير وافق الحاج امحمد و الضاوية على الزواج من فابيان، بينما كان ألأهالي في الدشرة يديرون أعمالهم" أما

---

[1] سليم بتقة: جذور و أجنحة، مصدر سابق، ص107.

[2] المصدر نفسه، ص108.

[3] نفسه، ص109.

(الأنا) لها عالمها البسيط الذي يقوم به و يمثله الحرفيون و العمال في الحقول؛ وهو عالم تكتفي (الأنا) فيه بنفسها في تدبير احتياجاتها، و لا يربطها بالآخر إلا تحركه نحوها ليأخذ حقوقه و ضرائبه، ويمارس سيادته عليها سواء في دور العبادة أو الشرطة، أو أي مصلحة عامة يرتفع فوقها ظل الآخر و سيادته، و لذلك لا تحس بحركة (الأنا)إلا إذا تحرك (الآخر)، و دائما ما تكون حركته مستفزة عدوانية، فيبرز من صفات (الأنا) ما يكون في العادة مختفيا ساكنا وراء عمل الانسان اليومي، و سعيه للرزق في مودة وحب لاخوانة في الحارة و الشارع و الحي."[1]

و هذا ما حدث في الصباح الباكر عندما استيقظ أهل الدشرة على أصوات الأرتال من العربات قادمة نحو الدشرة من أجل الخراب و الدمار الذي يفرضه العدو و كان فابيان " لقد رأى بأم عينه كيف أطلقوا الرصاص على جلول المهبول و أرادوه قتيلا عند مدخل الدشرة... و بدأوا في إخراج الأهالي بالقوة من بيوتهم و تجميعهم وسط الدشرة عند السوق." [2]

ثم جاء الحاكم و معه المتماهي المتسلط الذي يجسده القايد الذي كان يبدوا عليه القلق و الغضب الشديد، فتوجه نحو الحاج امحمد:

- شوف تخرج هاذوك المجرمين اولاد بنت الشيخ، و لا نشعل القرية بلي فيها.

---

[1] عبدالبديع عبدالله: الذاتية و الغيرية و الحوار بين الأنا و الآخر في الرواية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1995، ص99.

[2] سليم بتقة: جذور و أجنحة، مصدر سابق، ص107.

كان هذا تهديد و خطة محكمة لتدمير دشرة سيدي لحسن الطرهوني أما الحاكم العسكري ماثيو Mathieu يدخن الغليون على حصانه يستمتع بالحوار... كأنه غير مكترث بما يحدث.[1]

و يبرز لنا الروائي كل الجرائم الذي ارتكبها المستعمر في حق الانسان الجزائري و ايضا وصف العدوا؛ بأنه مغتصب و حقود و اللا إنساني و استغلالي يريد تحقيق مصالحه بأية وسيلة " تتسم شخصية الحاكم بالغضب و اصطناعه و شدة الانفعال و التعصب و الحقد على الأهالي و اعتبارهم أقل مستوى من البشر و محاولة إبقائهم في الفقر و البؤس و الذل باستعمال أعنف أساليب التسلط؛ كبث الجواسيس و الزج في السجون، و التقديم للمحاكم العسكرية، و نشر الفساد و الانحلال الخلقي، بالاعتماد على الشرطة و الجيش، و هذه الأوصاف مشتركة بين مختلف شخصيات الحاكم."[2]

لقد كان هؤلاء القياد و الحكام في الأرياف يلقبون " بالقروش الحمر وهذا ما تمثله شخصية القايد يرمزون إلى عملاء النظام الاستعماري، فالحاكم يمثل الإدارة و كان هو الرئيس الحقيقي لبلدية المختلطة، و كان يتمتع بسلطة غير محدودة عمليا؛ لأنه يستطيع أن يسلط حكما بدون أي دليل و أن يفرض غرامات هي في الواقع غير مراقبة، و أن يأمر بالسجن الإداري."[3]

ومن خلال ما سبق ندرك أن هذه شخصية الحاكم و القايد الذي برهن على صحة ما قلناه عنه حينما قتل الحاج امحمد " وجه فوهتها إلى صدر الحاج الذي يظل واقفا

---

(1) سليم بتقة: جذور و أجنحة، مصدر سابق ، ص111.

(2) عبدالمجيد حنون: صورة الفرنسي في الرواية المغربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، [د ط]، [د ت]، ص113.

(3) محفوظ قداسة قواس: جزائر الجزائريين تاريخ الجزائر 1930-1945، تر: محمد المعراجين منشورات anep ، الجزائر، [د ط]، 2008، ص232.

يترصد حركاته.. أطلق منها و بكل برودة دم رصاصتين .. هوا الحاج ميتا، وصدره يتدفق بالدم .. صدر الحاج امحمد كصدع الزجاجة.. كالدينار الحي الذي لا سبيل إلى إعادة سكه مرة أخرى..."[1]

لكن فابيان (الأنا) لم يتمالك أعصابه فقتل الحاكم من شدة الكره و الغضب من الآخر المستعمر (الفرنسي)الذي كان شاهد على ما فعله من جرائم في الدشرة ضد الأهالي" وجة بندقيته باتجاه الحاكم العسكري فأسقطه قتيلا.. شحن بندقيته ثانيا و ثالثا أمطر بها الجندرمة.. انضم إليه العيد و عمار وشباب القرية.[2]

و بعد كل هذه المشاحنات أدرك أهالي الدشرة و فابيان أن العدو لن يسكت على هذه الفعلة بل سيأتي و يدمر الدشرة و يحرقها هي و أهلها، فقرروا الرحيل بعيدا عنها " عاد فابيان إلى البرج رفقة العيد.. أخرج المؤونة و الذخيرة دون أن ينسى كراسته و بقية أغراضه..ترك و راءه أحلام الليل وخيبات الأمل.. بزته العسكرية، العلم خارطة الطريق أعداد من الجرائد كتب لكبار هراطقة الاستعمار... امتطى حصانه متجها مع رفيقه صوب الدشرة محملا بالأغراض."[3]

فغادر الأهالي رفقة فابيان الدشرة وهم حزينين على فراق المكان الحبيب و الحضن الدافئ مجبرين على ذلك" بدأ الجميع السير ليلا بعدما اقتنعوا بضرورة ترك الدشرة سالكين طريق البساتين، تحت أمطار غزيرة..كانت الأرض مبللة.. إنها المرة الأولى التي يتركوا فيها قريتهم مكرهين.. الجرح لا يزال جديدا وكم من الوقت يلزمه ليندمل؟."[4]

---

(1) سليم بتقة: جذور و أجنحة ، مصدر سابق، ص112.

(2) المصدر نفسه، ص13.

(3) نفسه، ص115.

(4) نفسه، ص116.

و لكن الآخر المستعمر كما نرى لا يكتفي بالهيمنة وحدها، وإنما يسعى للنيل من عقيدتنا على اعتبار أن عالم الإسلام هو النقيض الذي يهدده ما دام لم يدل له بعد بالطاعة و الولاء.

و بعد مغادرة الأهالي للدشرة دمرها العدو المستعمر تدميرا شاملا لم يترك لا أخضر ولا يابس" عند الصباح الباكر كانت الدشرة تدك بالمدافع ، أصوات الانفجارات تحترق القرى المجاورة من بعيد.. لم يسلم ضريح سيدي لحسن الطرهوني، ولا القبور من الهمجية العسكرية الفرنسية.. بدأت الحرائق تستعر و يتصاعد الدخان وقد أحال نهار الدشرة إلى ظلام."[1]

فلما سمع الأهالي بعد مغادرتهم ما حدث حزنوا كثيرا على أرضهم" لأن الوطن هو البيئة الروحية التي تتجه إليها عواطف الإنسان القومية، الذي يعبر عن حبه لوطنه واستعداده لخدمته، لأن الإنسان مرتبط بمصير البلاد التي ترتبط حياته كلها بها."[2]

و هكذا أصبح فابيان مطلوبا من طرف الآخر المستعمر الذي يريد القبض عليه لكنه لا يبالي بذلك ابدا.[3]

و نخلص من هذا كله أن فابيان يمتلك في أعماقه قلبا طيبا و ذو أخلاق نبيلة و بذلك استطاع التماهي مع الأنا لأن " هناك مجموعة من المشتركات بين المسلم و

---

[1] سليم بتقة: جذور و أجنحة، مصدر سابق، ص117.

[2] عادل اسطة: الوطن في أشعار إبراهيم طوقان، مجلة النجاح، جامعة النجاح الوطنية، كلية الأدباء، المجلد الثالث، العدد العاشر، ص84.

[3] ينظر: سليم بتقة : جذور و أجنحة، ص118.

الآخر مهما كان دينه، كما أن هناك فروقات بين الأنا و الآخر، و أن هذه الفروقات أو المشتركات تقل أو تكثر، تنقص أو تزيد ، تضعف أو تقوى، حسب نوعية الآخر."[1]

و هذا ما يعرف بالتعايش السلمي بين الأنا و الآخر" يكون مبني على التعاون و التعامل مع الناس على أنهم صنفان، إما آخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق، مما يتيح للمرء رحابة التعامل الإنساني الشامل مع جميع أصناف البشر على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم و أعراقهم، و بذلك يخلص إلى المصير المشترك و سائر القضايا التي تعتبر من المشتركات بين الإنسانية.[2]

وبهذا يمكن القول إن الناس قد يختلفون و قد يتفقون حسب نوعية الطرف الآخر أي بين ألنا و الآخر، و بهذا نقول أن العلاقة بين الأنا و الآخر قد تناولتها كثير من الروايات و ليست هذه الرواية بين يدينا فقط بل " لقد كانت كثير من الروايات العربية التي حاولت الكشف بين العلاقة الجدلية بين الأنا متمثلا في (الشرق) و الآخر متجسدا في (الغرب)."[3]

و يبقى لكل كاتب طريقته الخاصة في طرح موضوع الأنا و الآخر و العلاقة الشائكة بينهما.

و مجمل القول في هذا الفصل الثاني أن التجربة الروائية الجزائرية المعاصرة كغيرها من التجارب السردية العربية التي اشتغلت على مسألة الأنا و الآخر؛ فقد كان هم

---

(1) علي محي الدين: نحن و الآخر- دراسة على ضوء الكتاب و السنة و الفكر الإسلامي، قسم الفقه و الأصول، قطر، ص76.

(2) زهير عبدالهادي المجيد: مشروع ثقافة حوار الحضارات و تعايشها في المواجهة الصهيونية، مؤتمر القدس السنوي الثالث، ادارة الصراع مع الصهيونية، قسم الأبحاث الإقليمية، من 2005/10/27 إلى 2005/10/28، ص08.

(3) خالد بوزيان: الأنا و الآخر و مسالة الهوية في الخطاب الروائي العربي المعاصر، الملتقى الدولي حول السرديات، أسئلة الهوية في الخطاب السردي ، المركز الجامعي بشار، ص256.

هذه الرواية جذور و أجنحة لسليم بتقة إبراز كيفية تمظهر و تجليات الآخر مع الأنا، ثم يحدث التماهي من خلال الآخر (فابيان) إلى الأنا فابيان مع الأهالي.

خاتمـــــة

خاتمـــة:

تهدف رحلة البحث التي خضناها حول علاقة الأنا بالآخر إلى إبراز العلاقات الشائكة بينهما، باعتبار أنهما كيانان مختلفان أو عدوان صديقان، لكن لا يكون الأنا إلا بوجود الآخر، و هذا الموضوع يعد من أهم القضايا التي طرحت في متون الروايات العربية، و من بينها على سبيل المثال: موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح التي تطرقت إلى إشكالية الأنا و الآخر و الانبهار بالغرب و محاولة الانتقام منه و هذا ما جسدته شخصية مصطفى سعيد، وغيرها من الروايات، كعصفور من الشرق لتوفيق الحكيم و الحي اللاتيني لسهيل إدريس.

- بين البحث في التمهيد أن الأنا و الآخر دائرتان متداخلتان لا يمكن الفصل بينهما.
- و قد اتفقت جل الدراسات منها الفلسفية و علم النفس أن الآخر هو المخالف و غير الأنا .
- و لخص البحث طرح قضية الأنا و الآخر في الخطاب السردي العربي جاء بوجهين، فهناك من ينظر للآخر نظرة انبهار، و آخر نظرة احتقار، و هذا يعود إلى أن لكل كاتب وجهة نظر خاصة به.
- بين البحث في فصله الأول أن الأدب الجزائري باعتباره جزءا من الأدب العربي فهو الآخر قد عالج الجدلية القائمة بين الأنا و الآخر سواء الروايات التي كتبت باللغة الفرنسية أم باللغة العربية، فإن الآخر هو المستعمر الفرنسي الذي هتك العرض، و دمر الأرض و أزهق الأرواح، وحاول القضاء على كل المقومات الشخصية للأنا (الجزائري)، و نذكر من بين هؤلاء الكتاب: كاتب ياسين صاحب رواية نجمة التي ترمز للوطن الذي استغل العدو خيراته، لكن الجزائر بقيت صامدة حتى النهاية، و غيرها من الروايات التي أظهرت مدى

تأثير الآخر الغربي في العربي فيجعله يصاب بالجنون، وهذا ما وجدناه عند إبراهيم السعدي وغيره.

- وهذه التجارب تعكس المواجهة العنيفة بين الشعب الجزائري و الاحتلال الفرنسي.
- و توجه البحث في فصله الثاني أن رواية جذور و أجنحة لسليم بتقة التي أظهرت لنا كيفية تمظهر و تجلي الآخر الفرنسي مع الأنا الجزائري؛ لأن الطبيعة البشرية تفرض دائما وجود طرفين متباينين، هما الأنا و الآخر، بحيث لا تستطيع الأنا أن تكتشف هويتها بدونه؛ لأنه عنصر أساسي في تكوينها. و جاء الآخر في هذه الرواية في صورة المستعمر الذي يحاول القضاء على الأنا، وهنا تصبح الذات عاجزة عن تحقيق ما تحلم به من حياة هنيئة و سعيدة، في حين يبدوا الآخر المستعمر و المتحضر نقيضا لها، يعيش حاضره و مستقبله، فيستغل وقته في العمل و العلم، ليساهم في صنع الحضارة التي لا تتوقف.
- إن التقارب بين الأنا و الآخر لن يكون إلا عبر ظلال الحب و الاحترام الذي يتجلى بالاعتراف بخصوصية الآخر و الانفتاح المعرفي و التفاهم و اللقاء، وهذا ما جسدته شخصية فابيان الآخر المسالم مع الأنا، حتى قرر هذا الآخر الامتزاج بالأنا و التخلي عن مقوماته في إطار من الحوار السلمي.
- و في هذه الرواية أدى تمسك الأنا (أهالي الدشرة)، بمقوماتها و ثقافتها الأصيلة و حبها لأرضها جعل الآخر يتماهى مع الأنا وذوبانه في ثقافتها و عقيدتها.
- و ما يلاحظ على الآخر في الخطاب السردي الجزائري، رفضه استغلال الجزائر، بل كانت نيته و أهدافه نهب خيراتها و الاستيطان فيها.

وصفوة القول إن هذا البحث قد فتح نافذة على عالم سليم بتقة الروائي من خلال رواية جذور و أجنحة الذي يستحق وقفة أخرى.

و أرجو من هذا البحث أن يطرح إشكالات أخرى للدراسة و التقصي.

ملحـــــق

ملخص مضمون الرواية:

تصف الرواية حياة جندي فرنسي (فابيان) وكلت له مهمة تعقب المكان المستعمر من طرف فرنسا، دشرة سيدي لحسن الطرهوني، و هناك نسج فابيان خيوط الأمل في خضم الصراع ، فقد تأثر بعطر جوها و انبهر بمنظرها ، وتجرف في سيل صحرائها و أعجب بكرم وحسن ضيافتها، وذلك من خلال الفعل الذي قام به الطيب بن نونة ،عندما وصل خبر إقدام الحاكم العسكري على إرسال مراقب دائم بسرعة البرق، فلم يعد هناك حديث في الدشرة إلا عن فابيان .فهو رمز الدمار والخراب وألم الجرح الذي مازال عالقا في ذاكرة من عاشوا تلك الأحداث ، واقتحم أحلامهم بالكوابيس .

عاد الحاج امحمد من صلاة الصبح ،وجلس يتبادل أطراف الحديث مع زوجته بية ، و كان العيد بن الحاج يتنصت لحديث والديه الذي دار على فابيان و طغيان المستعمر الفرنسي ومدى خوفهم من وقع تلك الأحداث فأخذ يتشاور مع جماعة الدشرة عن حال هذا الجندي و الوضع الذي آلت إليه الدشرة ،فاتفقت الجماعة قبل الخروج من منزل الحاج امحمد على إرسال الطيب بن نونة لمعرفة نية الحاكم العسكري من إرسال ذلك الجندي الذي يقطن في البرج ، و ما لبث حتى ذهب إليه و هو حاملا صحن الضيافة (التمر) ، رغم خوف فابيان منه ، وذلك لعدم اقتراب أحد منذ حلوله في البرج .في حين تكررت زيارات الطيب له ودعوته لمنزله البسيط ، ورؤية سحر الكرم وحسن المعاملة ومنبع العطف والحنان وحضن الأسرة ودفء العائلة ،و كان له ذلك ، فقد رمى بوحدته بعيدا ،ونفى عزلته ، وأفصح عن إعجاب الفنان للحن كلماته ، و الرسام الذي عجزت أقلامه من زخرف تلك المناظر الخلابة .

وفي تلك اللحظات كان المستعمر ينهل من وقتهم ومضات المرح و الفرح ، يزرع أشواك المحن والإدعاء عليهم .

فقد جاء القائد(القايد) ليدلي على أصحاب الدشرة و هم جالسون في مقهى (أولاد سي موسى) ،كان هناك الطيب –البغدادي–الصادق ،السياب –بشير ولد حمة الصغير...أنهم ارتكبو أخطاء وهي قطع خيوط الهواتف ودفع كفالة تعويضا عن ذلك .

وكان فابيان يواصل إحتكاكه بالدشرة و التعرف على عاداتها و تقاليدها ومشاركتها أفراحها من حفلة سيدي لحسن الطرهوني و اللعب مع شبابها والتبادل معهم السهر والسمر على مسامع الأمثال والحكم وآيات من القرآن الكريم ، فيعود إلى البرج وهو مفتون بتلك القرية وهائما في صخبها وعفويتها .

وفي الصباح الباكر سلكت النسوة رفقه عيسى ولد العيد إلى المقبرة حيث كان فابيان يراقب من بعيد، وما إن باشروا بالعودة حتى أغمي على (سعدية) زوجة أخ (الضاوية) ،وحينما سارع عيسى بإحضار الماء ،لفتت انتباه فابيان تلك الحركة وهم للمساعدة . ولما نظر لوجه الضاوية إنسحر بجمالها وفتنتها، وعاد الى البرج وهو يتأمل في سماتها التي بقيت متعلقة في ذهنه. وأخذ ينجرف في سيل أهل القرية وخاصة الحاج امحمد الذي كان متبني الضاوية ، وهي الفتاة التي افتقد والديها في صحراء امتصت رمالها كل ما يجهلها ، فهي فتاة فرنسية نشأت وترعرعت في أحضان العائلة الجزائرية . وما لبث فابيان حتى سارع في دخوله الإسلام وطلب الزواج من الضاوية ، في حين كانت مكائد الفرنسيين تتوالى عليهم وتسرق هدوئهم وسكينتهم ، ففي صباح ما استيقظت الدشرة على أصوات العربات المحملة بالجندرمة وعلى ضربات حوافر الأحصنة فلقد جاء الحاكم والقايد الذي حاول أن يدوس الجموع المصطفة وتوجه إلى الصفوف الأولى موجها كلامه للحاج امحمد ، وأراد أن يصفعه لكن الحاج ردعه، وما إن انفك منه واصرع إلى حصانه واستل بندقيته ووجهها إلى صدر الحاج الذي كان واقفا ، وصاحت الدشرة الله اكبر الحاج مات ،قتلوا القايد الكلب، أجهز عليه ، فاندفع العيد بخنجره وأجهز عليه عمار بضربة سيف فصلت رأسه عن جسده ، وانهمكت القرية للوقوف صامدة في وجه الرصاص ، غير أن فابيان رأى مشاهد الإذلال والإهانة وهدر الدماء وكان يحس باحتراق

رأسه ويود لو ينفجر ، لكنه اختار الرحيل هو ومن تبقى في تلك الدشرة والضاوية واللجوء إلى مكان آخر حاملين أوجاعهم التي خلفتها تلك الأوجه الفاقدة للإحساس والأنفس الدنيئة.وكانت الضاوية تسترجع كلمات الحاج امحمد ودعمه لها ..أما عمار فقد أوكلت له حراسة القافلة وعاد العيد وفابيان والطيب إلى الدشرة لتقصي حجم الدمار الذي ألحقه الجنود الفرنسية، فكان فابيان مذهولا لما رأى من صفحات مصحف قد أحرقت ، وواصلو السير حتى أدركوا القافلة ، وسلكوا طريقهم.

قائمة المصادر و المراجـــع

قائمة المصادر و المراجع:

- القرآن الكريم برواية ورش

1-المصادر:

أ- المصادر بالعربية:

1-إبراهيم سعدي : المرفوضون، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، (د ط)، 1981.

2-أحلام مستغانمي: ذاكرة الجسد، دار الآداب، بيروت، ط12، 1999.

3-توفيق الحكيم: عصفور من الشرق، الأعمال الكاملة، دار الشرق، القاهرة، 2004.

4-ابن خلدون: المقدمة، اعتناء ودراسة أحمد الزغيبي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، (د ط)، 2009.

5-سليم بتقة: جذور و أجنحة، دار علي بن زايد للطباعة و النشر، بسكرة، الجزائر، 2004.

6-سهيل إدريس: الحي اللاتيني، دار الآداب، بيروت، ط12، 2002.

- الطاهر وطار: الزلزال، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، ط3، 1980.
- الطاهر وطار: اللاز، موفم للنشر، الجزائر، ط3، 2004.
- الطاهر وطار: الشمعة و الدهاليز، كرولونيا، 2003.

7- الطيب صالح: موسم الهجرة إلى الشمال، دار العين للنشر، القاهرة، 2004.

8-عمر بن قينة: مأوى جان دولان، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.

9-واسيني الأعرج: المخطوطة الشرقية، دار المدى، دمشق، ط1، 2002.

- واسيني الأعرج: كتاب الأمير، دار الفضاء الحر،الجزائر، ط1، 2004.
- واسيني الأعرج: شرفات بحر الشمال، دار الفضاء الحر، الجزائر، ط1، 2003.

ب- المصادر المترجمة:

1-رشيد بوجدرة: الإراثة، ترجمة: جلالي خلاص، المؤسسة الوطنية للكتاب منشورات ANEP، الجزائر، (د ط)، 2007.

2- كاتب ياسين: نجمة، ترجمة: السعيد بوطاجين، منشورات ضفاف و منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2014.

3-مالك حداد: سأهبك غزالة، ترجمة: صالح القرمادي، الدار التونسية للنشر، الجزائر، ط2، 1973.

4-محمد ديب: الحريق، ترجمة: فارس غصوب، منشوراتANEP ، الجزائر، ط1، 2007.

- محمد ديب: الدار الكبيرة، ترجمة: سامي الدروبي، دار الوحدة، بيروت، (د ط)، 1985.

5-مولود فرعون: الأرض و الدم، ترجمة: عبدالرزاق عبيد، دار تلانتيقيت، بجاية،(دط)، 2005.

- مولود فرعون: الدروب الوعرة، ترجمة: حنفي بن عيسى، الشركة الوطنية، الجزائر، ط2، (د ت).

2-المراجع

أ- المراجع بالعربية:

1- أحمد أمين : الشرق و الغرب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د ط)، 1955.

2-أحمد عبدالحليم عطية: جدلية الأنا و الآخر، مكتبة مدبولي الصغير، الحوامدية، القاهرة، ط1، 1997.

3-أحمد منور: الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته و تطوره وقضاياه، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (دط)، 2007.

4-أحمد يسين السليماني: التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر، دار الزمان، دمشق، ط1، 2009.

5-اسماعيل لطفي جافايكا: ماذا نريد من الآخر؟ ، مركز خدمة المجتمع، الكلية الاسلامية، جالا، تايلاند، ط1، 2004.

6-إياد عماوي: الأنا ودورهما في رسم و تحديد العلاقة بين الوطن العربي و الغرب، خاص بموقع المنشاوي للدراسات و البحوث، (د ط)، (د ت).

7-عبد البديع عبدالله: الذاتية و الغيرية و الحوار بين الأنا و الآخر في الرواية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1995.

8-تركي الحمد: الثقافة العربية في عصر العولمة، دار الساقي، بيروت، ط1، 1991.

9-جورج طرابيشي: شرق و غرب- رجولة و أنوثة (دراسة في أزمة الجنس و الحضارة في الرواية العربية)، دار الطليعة، بيروت، ط2، 1979.

10- حسين العويدات: الآخر في الثقافة العربية من القرن السادس حتى القرن العشرين، دار الساقي، بيروت، ط1، 2010.

11- خالدة سعيد: حركة الإبداع، دار العودة، بيروت، ط2، 1979.

12- أم الخير جبور: الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، دراسة سوسيونقدية، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2013.

13- دلال البزري: الآخر المفارقة الضرورية، مكتبة صيدا، بيروت، (د ط)، (د ت).

14- عبدالرحمان بدوي: دراسات في الفلسفة الوجودية، دار النهضة المصرية، القاهرة، ط2، 1966.

15- رزان محمود ابراهيم: خطاب النهضة و التقدم في الرواية العربية المعاصرة، دار الشروق، عمان، ط1، 2002.

16- سالم المعوش: صورة الغرب في الرواية العربية، مؤسسة الرحاب الحديثة، ط1، 1998.

17- سعاد حرب: الأنا و الآخر و الجماعة، دراسة فلسفة سارتر و مسرحه، دار المنتخب العربي للدراسات و النشر، بيروت، ط1، 1994.

18- سعاد محمد خضر: الأدب الجزائري المعاصر، منشورات المكتبة العصرية صيدا، بيروت، (دط)، 1967.

19- سعيد علوش: الرواية و الايديولوجية في المغرب العربي، دار الكلمة للنشر، بيروت، (دط)، 1983.

20- عبدالسلام الشاذلي: شخصية المثقف في الرواية العربية الحديثة ، دار الحديث، بيروت، (ط1)، 1985.

21- سليم بتقة: أوراق بحثية في النقد و الأدب، دار الأمل، الجزائر، ط1، 2014.

22- سهاد توفيق الرياحي: ظاهرة الأنا في شعر المتنبي و أبي العلاء، دراسة موازنة نقدية ، دار الجليس الزمان، عمان، ط1، 2012.

23- شريبط أحمد شريبط: مباحث في الأدب الجزائري المعاصر، الشروق للنشر، الجزائر، ط1، 2001.

24- بوشعيب الساوري: تمثيلات الهوية و الآخر قراءة في ثلاثية نصوص روائية، قراءات مغربية (الهوية و التخيل) في الرواية الجزائرية، رابطة أهل العلم، ط1، 2008.

25- عباس يوسف الحداد: الأنا في الشعر الصوفي ابن الفارض انموذجا، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط2، 2009.

26- عبدالعزيز بوباكير: الأدب الجزائري في مرآة استشراقية، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط1، 2000.

27- عقيل حسين عقيل: منطق الحوار بين الأنا و الآخر، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2003.

28- عمر بن قينة: الخطاب القومي في الثقافة الجزائرية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د ط)، 1999.

- عمر بن قينة: دراسات في القصة الجزائرية (القصيرة و الطويلة)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د ط)، 1986.

- عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث تأريخا و أنواعا و قضايا و أعلاما، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د ط)، 1995.

29- فاضل أحمد القعود: جدلية الذات و الآخر في الشعر الأموي دراسة نصية، دار غيداء، عمان، ط1، 2012.

30- أبو القاسم سعد الله : دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط5، 2007.

31- صالح زامل: تحول الميثال دراسة لظاهرة الاغتراب في شعر المتنبي، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ط1، 2003.

32- عبدالله الخطيب: النسيج اللغوي في روايات الطاهر وطار، دار الفضاءات للنشر، عمان، ط1، 2008.

33- عبدالله عبدالرزاق: المسامون و الاستعمار الأوربي لإفريقيا، عطا الله للنشر، الكويت، (د ط)، 1989.

34- محمد الأمين بلغيث: تاريخ الجزائر المعاصر دراسات ووثائق، دار البلاغ، الجزائر، ط1، 2001.

35- ماجدة حمود : إشكالية الأنا و الآخر نماذج روائية عربية، عالم المعرفة، الكويت، ط3، 2013.

- ماجدة حمود: صورة الآخر في التراث العربي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010.
36- مارلين ناصر: صورة العرب و الإسلام في كتب المدرسة الفرنسية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1995.
37- عبدالمالك مرتاض: في نظرية الرواية، عالم المعرفة، الكويت، (دط)،1998.
38- عبدالمجيد حنون: صورة الفرنسي في الرواية المغربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د ط)،(د ت).
39- محمد الداهي: صورة الأنا و الآخر في السرد، رؤيا للنشر و التوزيع، القاهرة، ط1، 2013.
40- محمد زغلول : دراسات في القصة العربية الحديثة، (أوصولها- اتجاهاتها- أعلامها)، دار المعارف، الاسكندرية، (د ط)، (د ت).
41- محمد عيساوي و نبيل شريخي: الجرائم الفرنسية في الجزائر أثناء الحكم العسكري (1830-1871)، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، ط1، 2011.
42- محمد صابر عبيد و سوسن البياتي: جماليات التشكيل الروائي، دار الحوار للنشر، اللاذقية، سوريا، ط1، 2008.
43- محمد مصايف: الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية و الالتزام، الدار العربية للكتاب، بيروت، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، (د ط)، 1983.
44- محمد مورو: بعد 50 عام من سقوط الأندلس (1492-1992) الجزائر تعود لمحمد (ص)، المختار الإسلامي للنشر، القاهرة، (د ط)، 1992.
45- محمد نورالدين أفاية: المتخيل و التواصل مفارقات العرب و الغرب، دار المنتخب العربي، بيروت، ط1، 1993.
- محمد نور الدين أفاية: الغرب في المتخيل العربي، منشورات دار الثقافة و الاعلام، الشارقة، ط1، 1991.

46- مدني زيقم: استيعاب الآخر في الرواية العربية و حدوده و آلياته (رواية عمر يظهر في القدس لنجيب الكيلاني)، دراسات و أبحاث، (د ط)، 2009.

47- مصطفى حجازي: التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2005.

48- مصطفى عبدالغني: الاتجاه القومي في الرواية العربية، مكتبة الأسرة، (دط)، (د ت).

49- مصطفى عطية جمعة:ما بعد الحداثة في الرواية العربية الحديثة، الذات ، الوطن، الهوية، دار الورق، عمان، ط1، 2011.

50- مصطفى فاسي: دراسات في الرواية العربية، دار القصبة، الجزائر، (د ط)، (د ت).

51- ممدوح حسين: الحروب الصليبية في شمال إفريقيا و أثرها الحضاري، دار عمار، عمان، ط1، 1998.

52- ميجان الرويلي وسعد البازغي: دليل الناقد الأدبي ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2002.

53- نادر كاظم: تمثيلات الآخر صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ط1، 2004.

54- نجم عبدالله كاظم: الرواية العربية المعاصرة و الآخر دراسة أدبية مقارنة، دار الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2007.

55- نهال مهيدات: لآخر في الرواية النسوية العربية (في خطاب المرأة و الجسد و الثقافة)، جدار للكتاب العالمي، عمان، ط1، 2008.

56- نور سلمان: الأدب الجزائري في رحاب الرفض و التحرير، دار العلم للملايين، بيروت، (دط)، (دت).

57- نورة فرج: ارتباكات الهوية (أسئلة الهوية و الاستشراق في الرواية العربية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2007.

58- واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، ط1، 1986.

ب- المرجع المترجمة:

1- تزفيتان تودوروف: فتح أمريكا مسألة الآخر، ترجمة بشير السباعي، سينا للنشر، القاهرة، ط1، 1992.

2-رولان بارت: النقد البنيوي للحكاية، ترجمة أنطوان أبو زيد، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط1، 1988.

3-رولو ماي: البحث عن الذات دراسة نفسية تحليلية، ترجمة عبدالعالي الجسماني، دار فارس، عمان، ط1، 1993.

4-عايدة أديب بامية: تطور الأدب القصصي الجزائري، ترجمة محمد صقر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د ط)، 1982.

5-محفوظ قداسة قواس: جزائر الجزائريين تاريخ الجزائر (1830-1945)، ترجمة محمد المعراجي، منشورات ANEP، الجزائر، (د ط)، 2008.

3- المعاجم و القواميس

1- أمل عبدالعزيز محمود: القاموس العربي الشامل، دار الراتب الجامعية، بيروت، ط1، 1992.

2-إبراهيم مصطفى و أحمد حسن الزيات: معجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، الجزء الأول، اسطنبول، تركيا، ط1، (د ت).

3-الإمام محب الدين أبي فيض محمد مرتضى الحسنى: تاج العروس،دار الفكر، المجلد الثالث عشر، تحقيق علي شيري، بيروت، (دط)، 1994.

4-بطرس البستاني: محبط المحيط، مكتبة لبنان ساحة رياض الصلح، بيروت، (طج)، 1987.

5-جبران مسعود: الرائد معجم ألفبائي في اللغة و الإعلام، دار الملايين، بيروت، ط3، 2005.

6-زيد الدين محمد (بن أبي بكر عبدالقادر الرازي): مختار الصحاح، تحقيق حمزة فتح الله، دار البصائر، بيروت، (دط)، 1987.

7-الفيروزأبادي الشيرازي: المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1999.

8-صبحي حموي: المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت، ط2، 2001.

9- محمد بوزواوي: قاموس مصطلحات الأدب، دار مدني، (دط)، 2003.

10- مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، ط5، 2007.

11- ابن منظور (جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم): لسان العرب، المجلد الرابع، دار صادر، بيروت، ط1، 1990.

4- الرسائل الجامعية:

1-جمال ميباركي: الغرب في الرواية العربية الحديثة، رسالة دكتوراه، إشراف الدكتور الطيب بودربالة، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2008-2009.

2- سليم بوعجاجة: ملامح خطاب ما بعد الاستعمار في الرواية المعاصرة في الجزائر، رسالة ماجستير، اشراف الدكتورة نبيلة إبراهيم، معهد الدراسات العربية، جامعة الدول العربية، القاهرة، 2006-2007.

3-سمية شنوف: تمظهر الآخر في روايات غادة سمان، رسالة ماجستير، إشراف الدكتور عبدالقادر شرشار، كلية الآداب ، جامعة وهران، 2005.

4-محمد البصير: الموقف الثوري، رسالة ماجستير، الجزائر، 1986.

5- الدوريات:

1- خالد بوزيان: الأنا و الآخر و مسألة الهوية في الخطاب الروائي لعربي المعاصر، الملتقى الدولي حول السرديات، مسألة الهوية في الخطاب السردي، بشار.

2-زهير عبد الهادي المجيد: مشروع ثقافة حوار الحضارات وتعايشها مع المواجهة الصهيونية مؤتمر القدس السنوي الثالث، إدارة الصراع و الصهيونية، قسم الأبحاث الإقليمية، من 2005/10/27 إلى 2005/05/28.

3-عبد الغني عماد: الغرب في منظور المسامين، مؤتمر كلمة سواء، مركز الإمام موسى، المنعقد في قصر الأونيسكو في 2 و 3 كانون الأول، 2004، بعنوان موقع الحرية في الإصلاح و التجديد.

6- المجلات

1- إبراهيم خليل: الطيب صالح أو زوربا السوداني في ذمة التاريخ، مجلة عمان، تصدر عن أمانة عمان، العدد 165، أذار 2009.

2-حسين جمعة : ثقافة الجوار مع الآخر، مجلة دمشق، جامعة دمشق، المجلد 24، العدد3، 4، 2008.

3- عبدالرزاق داوي: في الخطاب عن الثقافة و الهوية الثقافية، مجلة أنيس، مؤسسة الأخبار، الجزائر، العدد الثاني، 2007.

4-سعيد محمد الفيومي: جدلية الأنا و الآخر (في رواية المتشائم أنموذجا)، مجلة الجامعة الإسلامية، سلسلة الدراسات الإنسانية، قسم اللغة العربية، جامعة القدس المفتوحة، منطقة غزة التعليمية، المجلد 19، العدد الأول، 2011.

5- صادق جواد سليمان: المثقف العربي و إشكالية الأنا و الآخر، مجلة أخبار عدن، مركز الحوار العربي بواشنطن، العدد 13.

6-عادل اسطة: الوطن في أشعار إبراهيم طوقان، مجلة النجاح،كلية الآداب، جامعة النجاح الوطنية، المجلد الثالث، العدد العاشر.

7-عزيز الورتاني: الموسيقى العربية بين مفهوم الهوية و اللهجة الموسيقية مجلة الحياة الثقافية، تصدر عن وزارة الثقافة، تونس، العدد 249، مارس2014.

8-عبدالعزيز برغوت: مفهوم التعارف و التدافع و موقعهما في الحوار من المنظور الاسلامي، المجلة العالمية، تصدر عن معهد الفكر الإسلامي، العدد 23، 2011.

9-غسان السيد: صورة الغرب في الأدب العربي، (رواية فياض لخيري الذهبي أنموذجا)، مجلة جامعة دمشق، مجلد 24، العدد 3 و 4، 2008.

10- عبدالله أبو هيف: صورة الآخر و الحوار بين الحضارات في الرواية العربية، مجلة جامعة دمشق، المجلد 24، العدد 3و4، 2008.

11- عبدالله الطحاوي: قراءة في كتاب (الأنا و الآخر) من منظور قرآني، نشر في موقع (اسلام أونلاين)، 05-04-2009.

12-ماجدة حمود: صورة الآخر في ألف ليلة و ليلة، مجلة دمشق، قسم اللغة العربية و العلوم الإنسانية، كلية الآداب، المجلد 27، العدد الأول و الثاني، 2011.

13-محمد خالد: الفروقات بين التعلم و الثقافة و التحضر، مجلة الأمل، المركز الإسلامي، وزارة الصحة، الرياض، العدد 40.

14-نضال محمد الشمالي: الوعي بالآخر رحلة باريس لفرنسيس المراش أنموذجا، مجلة حوليات التراث، جامعة البلقاء، عمان، 2008.

فهرس الموضـوعـــــات

فهرس الموضوعات:

مقدمة.....(أ-ج)

مدخل:الأنا و الآخر- فضاء المفهوم.....(05-22)

تمهيد: .....(05-07)

1-الأنا و الآخر لغة واصطلاحا:.....(08)

- الأنا لغة.....(08)
- الأنا اصطلاحا.....(08-10)
- الآخر لغة:.....(10-11)
- الآخر اصطلاحا:.....(11-12)

2-الأنا و الآخر في الفلسفة وعلم النفس و الأدب .....(13)

- الأنا في الفلسفة.....(13-14)
- الأنا في علم النفس.....(14)
- الأنا في الأدب.....(14-15)
- الآخر في الفلسفة.....(15-16)
- الآخر في علم النفس.....(16-17)
- الآخر في الأدب.....(17-18)

3- الأنا و الآخر في الرواية العربية(نماذج روائية).....(18-22)

الفصل الأول: التجربة الروائية الجزائرية و ثنائية الأنا و الآخر..(24-55)

تمهيد:.....(24-25)

1- في الرواية المكتوبة باللغة الفرنسية.....(26-42)

2-في الرواية المكتوبة باللغة العربية.....(42-55)

الفصل الثاني: تمظهر الآخر في رواية جذور و أجنحة.....(57-95)

تمهيد:.....(57-58)

1-الآخر المستعمر .....(58-65)

2-الآخر المتحضر.....(65-72)

3-الآخر المسالم (المحاور).....(72-83)

4-الأنا (التماهي).....(83-95)

خاتمة.....(97-99)

ملاحق.....(101-103)

قائمة المصادر و المراجع.....(105-115)

فهرس الموضوعات.....(117-118)

Résumé :

Parmi les questions soulevées dans le système intellectuel, philosophique et littéraire celle qui concerne la dualité du *Moi* et de *l'Autre* étant donné que le roman est le model cognitif le plus expressif de telles questions épineuses entre l'individu arabe et l'individu occidental tout en suivant ce qui se passe dans la réalité et notamment lorsqu'on se penche sur les questions de l'identité. En effet, l'expérimentation romancière algérienne a abordé le sujet de confrontation du *Moi* algérien à *l'Autre* français colonial. Et c'est ce que nous avons constaté chez nos écrivains, que ce soient ceux qui ont écrit en français ou en arabe. Cependant, ce que l'on a pu constater à travers le roman de **Dr. Salim Betka** intitulé « ***Joudhour et Ajniha*** » est tout à fait le contraire, ce qui est incarné dans le personnage de Fabian (l'Autre), comme étant venu comme colonialiste et puis grâce au bon traitement, il est devenu l'un des indigènes (le Moi). C'est ce qu'on appelle l'identification avec *l'Autre* qui devient par la suite le *Moi*, le dialogue pacifique et civilisationnel entre le *Moi* et l'*Autre*.

ملخص:

من المسائل التي طرحت في المنظومة الفكرية و الفلسفية و الأدبية، ثنائية الأنا و الآخر، باعتبار أن الرواية أكثر الأنساق المعرفية تعبيرا عن مثل هذه القضايا الشائكة بين العربي و الغربي، و رصد ما يحدث في الواقع، و خاصة الخوض في قضايا الهوية و التجريب الروائي الجزائري قد تناول مواجهة الأنا الجزائري للآخر المستعمر الفرنسي، و هذا ما وجدناه عند كتابنا سواء الذين كتبوا باللغة الفرنسية أم العربية، و لكن ماوجدناه في« **جذور وأجنحة** » **للدكتور لسليم بتقة** يخالف ذلك، وهذا ما تجسد في شخصية فابيان (الآخر) الذي جاء كمستعمر، ثم بفضل المعاملة صار واحدا من الأهالي (الأنا) و هذا يعرف بالتماهي مع الآخر،يصبح (الأنا)، و الحوار السلمي و الحضاري بين الأنا و الآخر.